السلسلة والغفران

((مسرحية))

علي أحمد باكثير



89

مطبوعات مكتبة مصر

السلسلة والغفران

« مسرحية »

نالت جائزة وزارة المعارف لسنة ١٩٤٩

تأليف

علي احمد باكثير

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ .

(قرآن كريم)

الفصل الأول

المشهد الأول

(فى منزل عبد التواب بن صالح المقدادى ــــ حجرة واسعة فى جناح الرجال مؤثثة تأثيثا فاخرا ينم على الثراء وسعة الحال .. أرائك وثيرة فى صدر المسرح وعلى الجانب الأيسر منه ، وعليها وسائد موشاة بالحرير .. وأرض الحجرة مفروشة بالبسط الثمينة وعلى جدرانها نقوش زخرفية حسنة .. باب فى أدنى المسرح على اليسار يؤدى إلى جناح الحريم وباب آخر فى أقصى اليمين يؤدى إلى الباب الخارجى . الوقت ضحى) .

(يظهر عبد التواب جالسا على الأريكة والمصحف فى يده)

عبد التواب : (يتلو فى خشوع) ... يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد !

(يطبق المصحف فى أناة ويرفع رأسه فإذا عيناه نديتان بالدمع)

غفرانك يا ربى غفرانك ! **(يغلبه النشيج)** يا ويلتا .. ما أعظم ذنبى ! ما أعظم ذنبى ! قتلتها يا عبد التواب وهى فى ريعان الشباب وخنت فيها صديقك **(يمسح دموعه)** أتراك يا غافر الذنب العظيم تغفر لى ذنبى ! **(يستوى قائما فيقبل المصحف ثم يضعه فى أحد الرفوف)** .

(تدخل صالحة)

صالحة : قد كنست الجناح كله يا مولاى كما أمرتنى ..

عبد التواب : **(ينظر إليها بعطف)** شكرا لك يا صالحة .. إنك لجارية طيبة !

صالحة : **(يتهلل وجهها بالبشر)** تشكرنى يا سيدى .. أطال الله بقاءك ! ما أكرم خلقك .

عبد التواب : ويحك يا صالحة .. أتعجبين من شكرى إياك على حسن خدمتك ؟ .

صالحة : أنا يا سيدى بطيئة فى العمل وقد حسبت أنك ستنهرنى وتقول لى : ويلك يا هذه أقضيت الصباح كله فى الكنس ؟

عبد التواب : كلا يا صالحة .. لن تسمعى منى لوما أبدا .. اتخذى هذا البيت بيتك واعملى فيه كما تعمل صاحبة البيت فى بيتها ،

وإياك أن ترهقى نفسك .

صالحة : ما أكرمك يا مولاى .. الحمد لله الذى جعلك سيدى وجعلنى أمتك ! هل تعدنى يا سيدى أنك لا تبيعنى لغيرك ؟ .

عبد التواب : (مبتسما) كلا يا صالحة .. لن أبيعك لغيرى ...

صالحة : وأنك لا تعتقنى ؟

عبد التواب : ألا تحبين العتق يا صالحة ؟

صالحة : لا يا سيدى .. أحب أن أبقى دائما ملك يمينك !

عبد التواب : ثقى أنك ستبقين عندى ما حييت .

صالحة : بارك الله فى حياتك يا مولاى .. معذرة يا سيدى .. هل تعيش فى هذه الدار الكبيرة وحدك ؟

عبد التواب : لا يا صالحة . ستجىء اليوم سيدتك آسية وستحبك وتحنو عليك .

صالحة : أعطوف هى يا سيدى مثلك ؟

عبد التواب : بل خير منى يا صالحة .

صالحة : وأين هى يا سيدى منذ أمس ؟

عبد التواب : عند ابنتها الصغرى التى زفتها إلى بيت بعلها منذ أيام .

صالحة : (مستغربة) كيف يا سيدى ؟ أوَقد صارت لك ابنة فى سن الزواج ؟

عبد التواب : (ضاحكا) إنها ابنة أختى يا صالحة وأنا خالها .

صالحة : إذن فليست سيدتى آسية زوجتك ؟

عبد التواب : كلا ويلك .. إنها أختى .

صالحة : وأين يا سيدى زوجتك ؟

عبد التواب : مالى زوجة بعد يا صالحة .

صالحة : حفظ الله شبابك يا سيدى .. لم لا تتزوج ؟

عبد التواب : لما يأذن الله يا صالحة .

صالحة : (**ترنو إليه وتبتسم**) ... ؟

عبد التواب : ما خطبك يا هذه ؟

صالحة : يا ليتك يا سيدى اشتريتنى وأنا شابة ؟

عبد التواب : (**يتضاحك**) كيف كنت فى شبابك يا صالحة ؟

صالحة : (**تتنهد**) رعيا لأيام الشباب ! كان كل من يرانى يعجب بى ويستلطفنى . ألا تعلم يا سيدى أن سيدى الأول قبل هذا الذى باعنى لك قد طلق زوجته من أجلى وكانت بيضاء كالشمعة ، ولكنه عشقنى وتسرانى ، وكان ـــ رحمه الله ـــ لا يدعونى إلا عنبرة ؟

عبد التواب : (**يستلقى على الأريكة ضاحكا ثم يجلس ويقول لها مداعبا**) ما زلت بخير يا صالحة وما زال لك لون العنبر ونفاسته !

صالحة : (**فى دلال وعتب**) مولاى !

عبد التواب : (**باسما**) نعم يا عنبرة !

صالحة : هيهات يا سيدى .. أنت شاب فى سن ولدى .. آه لو كنت كهلا فى الخمسين مثلى !

عبد التواب : (**يضحك**) ما أظرفك يا صالحة .. أتتمنين لى الكبر قبل الأوان ؟

صالحة : معاذ الله يا سيدى بل أرجو لك الصحة ودوام الشباب وأتمنى لك زوجة شابة حسناء تكون قرة عين لك !

(يسمع قرع من ناحية جناح الحريم)

عبد التواب : انظرى يا صالحة .. من يقرع الباب هناك .. لعلها سيدتك آسية قد جاءت .

صالحة : سمعا يا سيدى (**تنطلق خارجة من اليسار**) .

عبد التواب : ما أظرفها من جارية .. لقد استطاعت أن تنسينى همى ساعة من الزمان . أواه متى يزول هذا الغم الجاثم فى صدرى ويعود لى ذلك الانشراح القديم . هيهات يا عبد التواب . هيهات . هذا طائر الإثم قد ألزمكه الله فى عنقك !

(تدخل صالحة فى شىء من الاضطراب)

عبد التواب : ماذا وراءك يا صالحة ؟

صالحة : لقد طلع لى بالباب رجل يا سيدى لا امرأة !

عبد التواب : رجل !

صالحة : نعم .. أراد أن يقتحم الباب فقلت له حتى أستأذن له عليك وقد زعم لى أنه أخوك فهل لك يا سيدى أخ كبير السن ؟

عبد التواب : ويلك يا صالحة .. هلا فتحت له الباب .. هذا أخى عبد الجواد .

صالحة : لكنه فى مثل سنى يا سيدى ولا يشبهك !

عبد التواب : (**بين التقطيب والابتسام**) ويلك .. ليغضبن الساعة عليك ويشتمنك !

(يخرج منطلقا ليفتح له)

صالحة : (**تتردد فى الحجرة حائرة لا تدرى ماذا تصنع**) يا ويلى .. أخوه فى مثل سنى . هذا يصلح أن يكون أباه . أتراه يقطن معه فى هذا المنزل ؟ ترى هل له زوجة ؟ أم هو أعزب مثل أخيه ؟ عجبا .. كيف يبقى مثل هذا الشيخ أعزب إلى اليوم ؟..

(يدخل عبد التواب ومعه عبد الجواد)

عبد الجواد : (**مغضبا**) ويل السوداء ! تمنعنى من الدخول وتوصد الباب فى وجهى !

(يلمح صالحة التى حاولت أن تتوارى خلف ستائر الباب الأيمن) ها هى اللخناء الفاعلة !

عبد التواب : اعذرها يا أخى فهى جارية جديدة لا تعرفك .

عبد الجواد : قلت لها إننى أخوك فما أبهت لقولى !

عبد التواب : لعلها استغربت يا أخى أن تجىء من باب الحريم فرابها ذلك .

عبد الجواد : إنى لا أجىء دائما إلا من باب الحريم . هذا ديدنى .

(يجلس) .

عبد التواب : (**يجلس**) ما جاءت إلا منذ أمس فمن أين لها أن تعلم ؟

(**يلتفت إلى صالحة**) اذهبي يا صالحة فاصنعي لنا شراب ليمون .

صالحة : سمعا يا سيدى . (**تتقدم وهى تنظر فى خوف إلى عبد الجواد**)

عبد الجواد : ما خوفك يا هذه منى ؟ أشيطان أنا عندك ؟

صالحة : كلا يا سيدى .. ما أنت بشيطان !

عبد التواب : (**يضحك**) إنها طيبة القلب جدا يا عبد الجواد .. هل تحسنين صنع شراب الليمون يا صالحة ؟

صالحة : نعم يا سيدى . إنى أحسن صنعه .. كنت أصنعه لمولاى الأول وكان — رحمه الله — لا يشربه إلا من صنع يدى .. أما مولاى الثانى الذى باعنى لك ..

عبد الجواد : (**مغضبا**) ويلك يا ثرثارة ! مالنا يا قطعة الليل ولمواليك الأول والثانى والثالث والرابع ..

صالحة : (**مقاطعة**) ليس لى مولى رابع يا سيدى .. أخوك هذا هو مولاى الثالث والأخير .

عبد التواب : (**باسما**) اذهبي يا صالحة فاصنعي لنا الشراب .

صالحة : سمعا يا مولاى (**تخرج**) .

عبد الجواد : أين آسية يا عبد التواب ؟ ألم ترجع بعد من عند الرباب ؟

عبد التواب : لا لم ترجع بعد .

عبد الجواد : أتريد البقاء عند زوج ابنتها إلى الأبد ؟

عبد التواب : ما مضى لها هناك غير ثلاثة أيام وهذا الرابع وما أحسبها

تتخلف اليوم عن المجيء . هذه عادة أمهات العرائس يا عبد الجواد .

عبد الجواد : ما أصغر عقول النساء وأسخف عاداتهن !

عبد التواب : وللرجال كذلك عادات سخيفة .

عبد الجواد : هأنتذا قد زوجت بناتها كلهن ، فهل لك اليوم يا أخى أن تلتفت إلى أولادى ، فليس من العدل أن تختص ببرك أولاد أختك دون أولاد أخيك !.

عبد التواب : أما تنفك يا عبد الجواد تلومنى فى أختك الأرملة وبناتها اليتيمات ؟ من ذا يعولهن إن لم أعلهن ؟

عبد الجواد : إنك لا تعولهن فحسب بل تعطيهن أكثر من حاجتهن .. هذه الرباب أمهرتها خمسمائة دينار غير الجارية التى أهديتها لها ، ففيم هذا الإسراف فى النفقة ؟ لقد كان يكفى أن تعطيها خمس هذا القدر .

عبد التواب : لا أستطيع يا عبد الجواد أن أقصر بها عن أخواتها من قبل .

عبد الجواد : أجل .. قد أضعت مالك كله فى الإنفاق على بنات الأجنبى الغريب وتركت أولادى وهم عصبتك وأولاد أبيك ! .

عبد التواب : إنهن بنات أختنا يا عبد الجواد ..

عبد الجواد : أما سمعت الشاعر يقول :

بنونـا بنـو أبنائنـا ، وبناتنـا

بنوهن أبناء الرجال الأباعد ؟

عبد التواب : دعك يا أخى من هذا اللغو ، فبنات أختنا هن بناتنا . وبعد فإنى ما قصرت فى البر بأولادك أيضا على قدر المستطاع .

عبد الجواد : إنك ما منحتهم عشر ما منحت لبنات آسية .

عبد التواب : ذلك لأن أباهم موجود فهم فى غنى عن مساعدتى بخلاف هؤلاء البنات المسكينات .

عبد الجواد : كل هذا من آسية ! تأبى إلا أن تستأثر بك من دونى ودون أولادى ! .

عبد التواب : حنانك يا أخى .. إنك ذو منصب طيب فى الدولة ولك منه راتب كبير .

عبد الجواد : أتظن أن راتبى هذا يكفينى ويكفى عيالى ؟ ألم تعلم بأن الأمير أحمد بن طولون قد اشتدت حاجته إلى المال لمناهضة أبى أحمد الموفق فى بغداد ؟ فعمد إلى رجال دولته وأمر أن تنقص رواتبهم ؟

عبد التواب : فكم نقصوا من راتبك ؟

عبد الجواد : خمسة عشر دينارا .

عبد التواب : فقد بقى لك ستون دينارا فهل تنفق هذا المقدار كله ؟ .

عبد الجواد : ويلك يا أخى .. أتريد أن أنفق كل دخلى دون أن أدخر شيئا لأيام شيخوختى واعتزالى العمل ؟

عبد التواب : ادخر ما تشاء ولكن لا تلمنى على البر بأولاد أختى وأختك !

عبد الجواد : كن عادلا فى برك ولا تظلم أولاد أخيك .

عبد التواب : لو كان أولادك فى مثل احتياج بنات أختى لكفلتهم مثلهن .

عبد الجواد : وهل يملك أولادى شيئا يا عبد التواب ؟ إنهم فقراء لا يملكون دانقا ..

عبد التواب : لكن أباهم يملك ما يكفيه ويكفيهم .

عبد الجواد : أتكلنى ويلك إلى الستين الدينار التى لا يعطونها لى إلا بعد أن أقضى شهرا كاملا فى عمل ينقض الظهر ، وأنت تكسب مثلها وأضعافها فى تجارتك من صفقة واحدة فى ساعة واحدة ؟

عبد التواب : أحمد الله يا أخى إذ كفيتك الإنفاق على أختك وبناتها وإلا لوجب ذلك عليك .

عبد الجواد : ولكن الله وسع عليك فما ضرك لو عطفت على أولادى أسوة ببنات آسية ؟ هذا ابنى محمد أريد أن أزوجه فاجعل له خمسمائة دينار مثل الرباب .

عبد التواب : لا طاقة لى اليوم بهذا القدر يا عبد الجواد ولكنى سأجعل له مائة دينار إن شئت .

عبد الجواد : ما تصنع مائة دينار ؟ هذه لا تكفى حتى لمهر الفتاة التى سيتزوجها .

عبد التواب : إنى اليوم فى عسر يا عبد الجواد وما عندى من فائض المال شىء .

عبد الجواد : أنت جنيت هذا على نفسك . ما كفاك تبذيرك على بنات

آسية حتى تصديت لمراضاة أصحاب الديون التى على قاسم المغربى وهو أجنبى عنك لا يمت إليك بقربى ولا رحم .

عبد التواب : إنه صديقي ورفيقى فى التجارة يا عبد الجواد .. إن أقلت عثرته اليوم فربما يقيل عثرتى غدا .

عبد الجواد : يا ليتني كنت صديقك لا أخاك . الصديق أفضل عندك من أخيك .

عبد التواب : معاذ الله يا أخى ولكن هذا الرجل منكوب قد حبسه القاضي للدين الذى عليه ، ولست بحمد الله كذلك .

عبد الجواد : أتريد أن تنتظر بى حتى أحبس فى الدين لكى تساعدنى وتقيل عثارى ؟ أوَ لست أولى بمالك من ذلك الأجنبى البعيد ؟

عبد التواب : قلت لك إنه رجل منكوب وقد ضاعفت نكبته وفاة زوجته المسكينة وهو فى الحبس (**يبدو عليه الأسى الشديد**) واها عليها .. قضت نحبها فى ميعة الشباب من كمد عليه !

عبد الجواد : أراك شديد الحرقة والتوجع للزوجة المتوفاة فلعلك تريد أن تنفق أيضا على أمها وأختها لتثبت للناس أنك أكرم من حاتم .

عبد التواب : والله ما قصدت بعملى التكرم وإنما ابتغيت وجه الله مؤملا عفوه وغفرانه ! (**يترقرق الدمع فى عينيه**) .

عبد الجواد : عجبا .. إنك لتبكى .. ليت شعرى لم لا يكون لذوى رحمك نصيب من رأفتك ؟ الأقربون يا عبد التواب أولى بالمعروف !

عبد التواب : ويحك يا أخى .. أليست آسية وبناتها من ذوى رحمى ؟ .

عبد الجواد : بلى ، ولكنى وأولادى أيضا منهم !

آسية : (**يسمع صوتها تنادى من الداخل**) يا عبد التواب ! عبد التواب !

عبد التواب : هذا صوت آسية قد جاءت من عند الرباب !

عبد الجواد : (**ينهض**) إنى إذن منصرف .. السلام عليكم !

عبد التواب : ألا تسلم يا أخى على أختك ؟

عبد الجواد : لا أكلمها ولا تكلمنى .

عبد الجواد : ابق يا أخى .. سأصلح ذات بينكما .

عبد الجواد : كلا .. لا أريد مصالحتها (**يتوجه نحو الباب الأيمن**) أين المائة الدينار التى طابت بها نفسك لمحمد ابنى ؟

عبد التواب : انتظر قليلا .. سأحضرها لك .

آسية : (**صوتها**) عبد التواب !

عبد الجواد : كلا .. لن أنتظر .. سأبعث محمدا لأخذها منك (**ينظر إلى البسط التى يطأ عليها**) هذه البسط النفيسة ليس عندنا منها شىء .. ألا تنزل لمحمد عن واحد منها يجمل به غرفته فى أيام عرسه ؟

عبد التواب : سأعطيه واحدا منها إذا جاء .

عبد الجواد : إنه يحتاج إلى بساطين أحدهما له والآخر لعروسه ولكنى لم أشأ أن أثقل عليك .

عبد التواب : سأعطيه البساطين والمائة الدينار .

عبد الجواد : نعم .. أعطه البساطين والمائة الدينار .

عبد التواب : ألا تبقى حتى تصيب من شراب الليمون الذى تصنعه لك الجارية ؟

عبد الجواد : أعط نصيبى لآسية ! (يخرج)

آسية : (صوتها) عبد التواب !

عبد التواب : ادخلى يا أختاه .. ما عندى أحد .

(تدخل آسية وعليها قميص الخروج لم تخلعه عنها بعد)

آسية : من كان عندك ؟ عبد الجواد ؟

عبد التواب : نعم .

آسية : خرج من عندك لما سمع صوتى !

عبد التواب : كلا يا آسية .. كان يود البقاء لولا أن أمرا هاما أعجله .

آسية : بل كره رؤيتى .. ماذا جاء به اليوم إليك ؟ لعله كلمك فى شأنى وشأن بناتى كدأبه !

عبد التواب : لا يا أختى .. إنما جاء يلتمس منى شيئا لزواج ابنه محمد .

آسية : فهل أعطيته شيئا ؟

عبد التواب : وعدته بذلك .

آسية : لكنك قد أعطيته لزواج ابنه هذا مائتى دينار من قبل . فهل نسيتها يا عبد التواب ؟

عبد التواب : لا ما ما نسيتها ولكنه طلب مني المزيد .

آسية : يا أختي إنه يريد المال لنفسه وإنما اتخذ زواج ابنه وسيلة لاستدرار المال منك . هذا البخيل الطماع لا يشبع أبدا من جمع المال . تبا له .. يستجديك وهو أغنى منك !

عبد التواب : إنه شكا لي أنهم نقصوا راتبه .

آسية : ماذا يضيره ذلك وقد كنز القناطير المقنطرة ؟ لقد ظل يجمعها وينميها من عشرين سنة .

عبد التواب : هوّني عليك يا أختي فما وعدته إلا بمائة دينار .

آسية : أنت أولى بها منه .

عبد التواب : إنما أعطيه من أجل أولاده المحرومين .

آسية : أبوهم هو الذي يحرمهم ويضيق عليهم فما ذنبك أنت ؟

عبد التواب : ألا ترضين عنه يا آسية فإنه أخونا الأكبر ؟

آسية : هو الذي بدأني بالإساءة دون أن أسيء إليه . حسبي الله منه ! ما كفاه أنه يبخل عليّ وعلى بناتي بالدانق حتى يحرضك علينا تمنعنا من برك ! الحمد لله الذي أغنانا عنه

عبد التواب : إنه يقول مالا يعني فلا تعبئي بكلامه .

آسية : كلا بل يعني كل كلمة مما يقول .

عبد التواب : لقد كنت تحتملين شدته وجفاء طبعه فما الذي غيرك يا آسية ؟

آسية : لقد طفح الكيل يا عبد التواب .

عبد التواب: ألست أنت التي غاضبته وعالنته بالقطيعة ؟

آسية : بلى .

عبد التواب: علام يا أختاه ؟ هلا تسعينه كما وسعته من قبل ؟

آسية : إنى لم أخبرك بما فعل خشية أن أؤسفك . فأما إذ سألتنى فاعلم أنه جاءنى ذات يوم فناشدنى ألا أكلمك فى الزواج مرة أخرى وزعم لى أنك إن تزوجت فسينقطع برك عنى وعنه .

عبد التواب: (يتضاحك) فماذا قلت له ؟

آسية : قلت له إن الله موجود وقد كفل لكل مخلوق رزقه . فأسمعنى كلاما ما سمعت أسوأ منه ولا أشنع . قال لى إنى استأثرت بك لى ولبناتى من دونه ودون أولاده ، حتى إذا شبعت وشبعن أردت أن أزوجك لتستأثر بك امرأتك بعدى وبعد بناتى فلا يبقى له ولأولاده فى برك مطمع !

عبد التواب: الحق يا آسية أننى أخشى عليك من زواجى ، فالزوجات — ما علمت — يغرن من الأخوات ويولعن بإيذائهن ومخاصمتهن .

آسية : ويحك يا أخى .. إنى أصبحت اليوم امرأة عجوزا وأنت بمنزلة ابنى وسأتخذ امرأتك كإحدى بناتى .

عبد التواب: والزوجات يغرن من الأمهات أيضا يا آسية .

آسية : كلا يا عبد التواب .. لا ينبغى أن تقضى عمرك كله أعزب من أجلى . لقد كنت تقول لى دائما حين أكلمك فى

الزواج إنك ستتزوج بعد أن تزوج بناتى . وها هى الرباب أخراهن قد زفت إلى بعلها فى ظل نعمتك ، فماذا تنتظر بعد ؟

عبد التواب : دعينا الآن من هذا وحدثينى كيف حال الرباب ؟ أمسرورة هى فى عشها الجديد ؟

آسية : لم لا ؟ وقد اخترت لها بعلا ناهيك به من بعل ؟ أبقاك الله يا أخى لنا جميعا ورزقك الزوجة الصالحة .

عبد التواب : أما تشعر هناك بشىء من الوحشة ؟

آسية : هونا ما كدأب الفتيات لأول عهدهن بفراق أهلهن ، ولكن هذا لا يلبث أن يزول .

عبد التواب : والله لقد أوحشنى فراقها يا آسية . لقد كانت أنس هذه الدار فغاض .

آسية : لماذا لم تجىء لزيارتها أمس كما وعدت ؟ لقد ظلت طول اليوم ترقب مجيئك .

عبد التواب : يا ويحها .. لقد شغلتنى عن ذلك الشواغل يا آسية .

آسية : إنها وجدت لك بين العذارى اللواتى شهدن زفافها عروسا حسناء تصلح لك ، وكانت تريد أن تكلمك فى شأنها لو حضرت .

عبد التواب : ترى من تكون تلك التى اختارتها لى الرباب ؟

آسية : كوثر بنت إسماعيل المرزوق .. إنك تعرفها يا عبد التواب .. كانت تلعب هنا مع الرباب قبل أن تحجب .

عبد التواب : أجل أعرفها .. هذه صغيرة جدا .

آسية : نعم إنها حديثة السن ولكنها نامية حسنة النبات .

عبد التواب : لكن أباها كان جنديا ، وفى بنات الجنود جفاء وشراسة .

آسية : كلا يا أخى .. هؤلاء من بيت كريم ولا يشبهون الجنود .

عبد التواب : ألا تخشين أن تكون سببا فى إزعاجك وتكديرك ؟

آسية : يا أخى ثق أنها ستكون لى بمنزلة الرباب .

(تدخل صالحة تحمل قدحين من شراب الليمون) .

آسية : نسيت أن أسألك عن هذه الجارية الجديدة . متى اشتريتها يا عبد التواب ؟

عبد التواب : اشتريتها أمس . (**لصالحة**) هذه سيدتك آسية يا صالحة .

صالحة : سيدتى أختك يا مولاى ؟

عبد التواب : نعم .

صالحة : وأين ذهب سيدى أخوك يا مولاى ؟

عبد التواب : إنه خرج يا صالحة .. استبطأ شرابك فانصرف .

صالحة : معذرة يا سيدى .. لقد سهوت فعصرت الليمون قبل أن أذيب السكر فاستعصى علىّ وبقيت أحركه .. أحركه .. وهو لا يريد أن يذوب .

(يضحك عبد التواب وآسية) .

آسية : ويحك يا صالحة .. أما تعرفين صنع شراب الليمون ؟

صالحة : بلى يا مولاى .. كنت أجيد صنعه أيام كنت عند مولاى

الأول — رحمه الله — فقد كان يحب هذا الشراب . أما مولاى الثانى الذى باعنى لمولاى أخيك فما كان يشربه ، ولذلك نسيت طريقة صنعه عنده .

(**يتضاحك عبد التواب وآسية وهما يتناولان الشراب منها**) .

آسية : أراها خفيفة الروح يا عبد التواب !

صالحة : شكرا لك يا مولاتى ... كان مولاى الأول — رحمه الله — كثيرا ما يقول لى ذلك ، وكنت شابة حلوة إذ ذاك .

عبد التواب : وكان يسميك عنبرة !

صالحة : نعم .. كان لا يدعونى إلا عنبرة .. رحمة الله عليه .. لقد كان شابا جميلا مثلك يا مولاى . (**يضحكان**) حدثينى يا سيدتى لماذا لا يتزوج مولاى عبد التواب ؟

آسية : (**تضحك**) سيتزوج عما قريب يا صالحة .

صالحة : قد قلت له آنفا لا ينبغى لمثله أن يبقى بدون زوجة .

آسية : صدقت يا صالحة .

صالحة : وخبرينى يا سيدتى لماذا بقى مولاى غرانقا بخلافكما أنت وسيدى عبد الجواد ؟

عبد التواب : (**يقهقه ضاحكا**) أما إنك لجارية عجيبة !

آسية : (**تغالب الضحك**) إنه أصغر أولاد أبينا يا صالحة .

صالحة : ووجهه يختلف عن وجوهكما !

آسية : (**تضحك**) أجل يا صالحة .. أنا وعبد الجواد من أم ،

ومولاك عبد التواب من أم أخرى .

صالحة : لكنك أشبه بمولاى عبد التواب فى لطفه ودماثة خلقه ، ولست كسيدى عبد الجواد فى ...

عبد التواب : (**يضحك**) فيماذا يا صالحة ؟

صالحة : (**تنظر إلى آسية**) أخشى إن قلتها تغضب سيدتى آسية منى لأخيها الشقيق .

آسية : كلا يا صالحة قوليها ولا حرج .

صالحة : فى فظاظته وسلاطة لسانه ! (**يستغرقان فى الضحك**) .

آسية : ماذا صنع بك يا صالحة ؟

صالحة : ماذا صنع بى ؟ سلى مولاى عبد التواب يخبرك .. لقد نهرنى نهرة خضخضت أحشائى وكاد يفترسنى بعينيه !

(**يسمع قرع على الباب الخارجى من ناحية اليمين**) .

عبد التواب : ترى من الذى يطرق الباب (**يخرج**) .

آسية : (**تنهض**) هلمى يا صالحة .. لعل ضيفا جاء لسيدك .

صالحة : (**فى ارتياع**) إن كان شقيقك هو الطارق فحنانيك يا سيدتى .. لا تخبريه بما قلت فيه !

آسية : (**تضحك**) كلا يا صالحة .. سيدك عبد الجواد لا يجىء من هذا الباب .. هلمى .. (**يخرج ، وتخرج خلفهما صالحة**) .

(**يدخل عبد التواب ومعه رجل كهل فى هيئة حسنة**) .

عبد التواب : (**عابسا كأنه يكره لقاءه**) ما جاء بك اليوم ؟

الرجل : (**يبتسم فى لطف**) يا سيدى .. ألا تدعونى أولا إلى الجلوس ؟

عبد التواب : اجلس إن شئت .

الرجل : شكرا (**يجلس**) .

عبد التواب : (**يجلس بجانبه**) ألم أنهك عن المجىء ألبتة إلىّ ؟

الرجل : إنما جئت يا سيدى فى خدمتك .. (**يخفض صوته**) لقد عثرت لك على بضاعة تهمك .. آية فى الجودة والرقة !

عبد التواب : (**مغضبا**) ويلك ! ألم أقل لك إننى لم يعد لى فى بضاعتك من أرب .

الرجل : فيم يا سيدى ؟ هذه بضاعة فاخرة ليس لها مثيل وإنى لأنفسها على غيرك .

عبد التواب : اسمع يا هذا .. لئن جئتنى بعد اليوم مرة أخرى لأرفعن أمرك إلى شرطة الأمير .

الرجل : (**يتصنع الابتسام**) لعلك لا تعلم أن لى بين هؤلاء أصدقاء !

عبد التواب : فلأرفعن أمرك إلى الأمير أحمد بن طولون نفسه ... والله الذى لا إله إلا هو لأسوقنك إلى مجلسه !

الرجل : (**يتغير وجهه**) حنانيك يا سيدى لا تقطعن عيشى وعيش أولادى !

عبد التواب : فابتعد إذن عنى ولا ترنى وجهك أبدا !

الرجل : ما أراك تزوجت بعد ؟ فليت شعرى ماذا غيرك على

صاحب ودك القديم ؟

عبد التواب : (**بصوت خافض**) أيها القواد الدنس .. لا تقربني بعد اليوم ولا تطأ لى بساطا وإلا فلا تلومن إلا نفسك !

الرجل : هل أصبحت تعرف الدروب بدونى فاستغنيت يا سيدى عنى ؟ حنانيك يا سيدى هذه مهنتى لا مهنة لى سواها فلا تحرمنى مكسبى الوحيد .

عبد التواب : لعنة الله عليك وعلى مهنتك !

الرجل : إنى واثق أنك لو رأيت هذه البضاعة ..

عبد التواب : اسكت ويلك ! اخرج من هنا !

الرجل : لا تخف يا سيدى من وجودى عندك فإنى مستور الحال ، والناس لا يعرفون عنى إلا أنى تاجر الحرير .

عبد التواب : لكنى أعرفك ولا أريد بعد اليوم أن أراك .. اخرج من عندى وإلا ..

الرجل : (**ينهض ليتصرف**) لا رحم الله من كانت سبب حرمانى منك ! (**يخرج**) .

عبد التواب : (**واقفا قد غلبه الأسى الشديد وهو يتمتم**) سبحانك يا ربى .. لقد استجيبت دعوة هذا القواد من قبل أن ينطق بها لسانه ! يا ويح غيداء ! ما ساقها إلى القبر غيرى ، أنا قتلتها ! .. غفرانك يا رب غفرانك !

آسية : (**صوتها**) عبد التواب ! أقد خرج الضيف من عندك !

عبد التواب : (**يمسح عينيه بطرف كمه**) نعم يا آسية .. ادخلى يا

أختاه .

آسية : (**تدخل**) من هذا الذى كان عندك يا عبد التواب ؟

عبد التواب : أحد معارفى من التجار .

آسية : كأنى سمعتك تنهره وتطرده !

عبد التواب : (**فى لهجة العاتب**) هل استمعت إلى حديثنا يا آسية ؟

آسية : كلا يا أخى وإنما علا صوتك فوصل إلى سمعى قولك له : اخرج من هنا !

عبد التواب : (**يسرى عنه**) هذا رجل ثقيل لا يطاق .. يريد دائما أن يرغمنى على شراء بضاعته الكاسدة ، وما اشتريت منه بضاعة قط إلا غشنى فيها .. (**يغير لهجته**) خبرينى ما رأيك فى الجارية الجديدة يا آسية .. هل أعجبتك ؟

آسية : إنها جارية ظريفة .. بكم اشتريتها ؟

عبد التواب : بتسعين دينارا .

آسية : فيم تكلفت شراءها يا أخى ؟ كنت أستطيع بدونها أن أخدمك .

عبد التواب : كلا يا آسية .. إنك بحاجة إلى جارية تخدمك وقد اشتريت هذه مكان صهباء .

آسية : هلا كنت أبقيت صهباء معنا فكفيت شراء جارية جديدة ؟

عبد التواب : معاذ الله أن أزف حبيبتى الرباب بغير جارية تخدمها وتأنس بها وتعظم بها فى عيون أحمائها .

آسية : لكنك اليوم في ضيق ، فما ضر لو تبقى الرباب بدون جارية ريثما يوسع الله عليك ؟

عبد التواب : كلا والله لا أقصر بالرباب عن أخواتها من قبل .

آسية : ملأ الله بالخير يديك وأبقاك لي ولهن وجعل يومنا قبل يومك .

عبد التواب : ويحك يا آسية لا تدعي عليهن وذريهن يستمتعن بأيام شبابهن .

آسية : والله ما دعوت إلا لهن . ماذا نصنع بالحياة بعدك يا عبد التواب ؟ والله لو كان أبوهن حيا ما عطف عليهن عطفك ولا لقين من بره ما لقين من برك .

عبد التواب : أنا أبوهن يا آسية وهي بناتي ! وما فتح الله على أبواب الرزق إلا بريحهن وبركتهن .

آسية : إي والله لقد كنت لهن الأب البر الرحيم على حداثة سنك وطراءة عودك ، فلا تبخل اليوم عليهن بتمام برك ..

عبد التواب : أي شيء ينقصهن يا آسية ؟

آسية : أن يفرحن بزواج خالهن ويرين له ذرية طيبة .

عبد التواب : سيكون ذلك يا أختي حين يجيء الأوان .

آسية : إنك اليوم في التاسعة والعشرين فمتى تتزوج يا أخي إن لم تتزوج اليوم ؟ دعني أفرح بأولادك يا عبد التواب وأربيهم عسى أن أرد بعض جميلك عندي . لقد عشت يا أخي بفضلك حتى رأيت كل بناتي في بيوت أزواجهن ، فلم يبق

لى أمنية فى الحياة سوى أن أراك سعيدا بنفسك و بذريتك .

عبد التواب : إنى اليوم بحمد الله لسعيد ولا ينقصنى شىء .

آسية : بل تكتم عنى همك ونصبك . لقد صرت كثير الأرق قليل الطعام و لم تعد مرحا بشوشا كما كنت من قبل .

عبد التواب : إنما هى مشاغل التجارة وهمومها يا آسية .

آسية : لو تزوجت يا أخى لروحت عن نفسك كثيرا من هذه الهموم .

عبد التواب : فانتظرى قليلا حتى ينتعش حالى وتنفرج عنى هذه الأزمة .

آسية : خذ حليى فبعها فمالى بها من حاجة .

عبد التواب : كلا يا أختى .. هذا لن يكون .

آسية : ماذا أصنع بها الآن .. لم يعد لى فيها من أرب .

عبد التواب : بل دعيها فقد تحتاجين إليها يوما .

آسية : لا كان ذلك اليوم الذى أحتاج إليها فيه ! يا ليتنا كنا أجلنا زواج الرباب .

عبد التواب : ما زواج الرباب هو الذى رزأنى بل ديون قاسم المغربى .

آسية : ما كان أغناك عن قضاء ديونه وأنت فى هذه الحالة من الإعسار .

عبد التواب : إنه صديق كريم وله علىّ حقوق .

آسية : أوَقد أطلقوا سراحه ؟

عبد التواب : اليوم يوم خروجه من السجن .. يا ويحه .. سيخرج من سجنه ليذرف الدمع السخين على قبر زوجته ! (يترقرق

الدمع فى عينيه) وددت يا آسية لو أفلحت فى إطلاق سراحه قبل أن تموت زوجته حزنا عليه .

آسية : لا عليك يا أخى فقد بذلت كل وسعك من أجله .

عبد التواب : واحسرتاه .. ظللت زمنا أساوم غرماءه حتى قضت زوجته نحبها من كمد عليه .

آسية : هون عليك يا أخى فإن بعض الناس يقولون إنها حملت فى غيابه عنها وإن موتها كان من أثر الإجهاض .

عبد التواب : الله للناس .. لا يتركون أحدا فى مصابه حتى يفروا أديمه بالتقول والتخرص .

آسية : أجل .. ما إخال هذا إلا من كذب الناس وبهتانهم . يا ويح أم مستور إن حزنها على ابنتها الشابة ليكاد يقضى عليها .

عبد التواب : هل رأيتها قريبا يا آسية ؟

آسية : لا .. لم أرها منذ يوم المأتم .

عبد التواب : هل لك يا أختى أن تزوريها غدا وتحملى لها شيئا فهى فى حاجة إلى العون ؟

آسية : أبقاك الله يا أخى .. ما أشد عطفك على الناس !

عبد التواب : تعلمين يا أختى أنها استغاثت بى لإخراج زوج ابنتها من سجنه ، فكان منى بعض التقصير حتى ماتت ابنتها ، فلا أقل من أن نواسيها بشىء (يبكى) إنى أخشى يا آسية أن يكون لى يد فيما حل بها من المصاب .

آسية : ما أرق قلبك ! ماذا فى وسعك أن تصنع أكثر مما صنعت ؟

والله لو عرفوا حالك اليوم لعذروك .

عبد التواب: كلا لا عذر لى يا آسية وإن عذرونى .

آسية : أراك شديد الرثاء لها يا عبد التواب كأنما هى من بعض أهلك .

عبد التواب: ما يحزننى إلا أنها تموت فى ريعان الشباب .

آسية : هذا قضاء الله يا أخى ولا راد لقضائه .

عبد التواب: صدقت يا آسية ولكنى لا أستطيع أن أبرىء نفسى من التبعة .

آسية : أى تبعة يا أخى ؟ لقد صنعت لقاسم المغربى ما لم يصنعه صديق لصديقه قط . قضيت ديونه من مالك وأنت فى حاجة إليه . والله لو فداك قاسم بروحه لقل ذلك لك .

عبد التواب: كلا يا آسية لو تشعرين ما أشعر لأدركت مبلغ خجلى من هذا الصديق الذى فرطت فى جنبه . والله لا أدرى بأى وجه أقابله .

(**يقرع الباب الخارجى**)

عبد التواب: (**يشرف من الشباك**) هذا هو قد جاء يا آسية .

آسية : من ؟ قاسم المغربى ؟

عبد التواب: نعم (**يخرج من اليمين**) .

آسية : (**تتنهد**) ما أغناك يا أخى عن تبعات الناس وأوزارهم تحملها على ظهرك ! (**تخرج من اليسار**) .

عبد التواب: (**يعود ومعه قاسم المغربى**) مرحبا بك يا قاسم .. هلم

اجلس.

(يجلس قاسم وهو بالغ التأثر يرنو إلى عبد التواب دون أن يقول شيئا)

عبد التواب: **(كمن يخجل أن يملأ عينه من قاسم)** اغفر لى يا قاسم !

قاسم : **(متمتما)** أغفر لك !

عبد التواب: نعم وإن جل ذنبى .

قاسم : **(ينطلق لسانه)** أى ذنب يا عبد التواب ؟ أنا أسير إحسانك الدهر يا عبد التواب ، والله لا أدرى كيف أجزيك !

عبد التواب: **(يسرى عنه فينظر إلى قاسم فى حنان بالغ)** إنى ما صنعت لك شيئا يا قاسم .

قاسم : بل صنعت لى كل شىء . لقد نسينى جميع أصدقائى لما حبست .. حتى أقاربى تخلوا عنى ، وأنت وحدك الذى اهتممت بأمرى وأبيت أن تنسانى . دعنى أقبل رأسك يا عبد التواب !

عبد التواب: **(يتمنع)** أستغفر الله يا قاسم .. أستغفر الله .

قاسم : **(يقبل رأسه)** قضيت ديونى وعنيت بزوجى وأهلها فى غيابى **(يبكى)** .

عبد التواب: تجلد يا قاسم فهذا قضاء الله .

قاسم : أجل .. هذا قضاء الله ، ولكنى كنت أتمنى أن أراها ولو نظرة واحدة قبل أن تموت ! **(ينتحب)** .

عبد التواب : (**يدنو مواسيا ويربت على ظهره**) ويحك يا قاسم .. إن مصابك لهو مصابى !

قاسم : (**يرفع رأسه فجأة وقد تقلص دمعه**) لا حق لى أن أحملك شجونى ، وما جئت يا عبد التواب إلا لأقوم بشكرك ولأرى كيف يمكننى أن أقضى الدين الذى فى ذمتى لك .

عبد التواب : هون عليك يا قاسم فقد أسقطته عنك .

قاسم : كلا يا عبد التواب .. لابد من وفائه .. سأرحل إلى الشام وأجتهد فى التجارة هناك لعل الله يفتح علىّ فأرد دينك . فهل لك يا صديقى أن تتم معروفك معى فتعطينى ولو مائتى دينار أفتتح بها تجارتى وتكون شريكى فيها إن شئت ؟ .

عبد التواب : مائتا دينار لا تكفى يا قاسم . يا ليتنى اليوم فى سعة فأعطيك ألفى دينار أو أكثر .

قاسم : إنى أعرف عذرك يا عبد التواب وقد رزأتك الكثير ، فلا بأس أن أكتفى اليوم بمائتى دينار لعل الله يضع فيها البركة فيضاعفها لنا أضعافا مضاعفة .

عبد التواب : (**يصمت هنيهة ثم ينهض**) انتظرنى قليلا .. سأنظر ماذا أستطيع أن أدبر لك (**يخرج من اليسار**) .

قاسم : (**يحدث نفسه**) ويلى .. ما كفانى ما حملته من دينى حتى أستغل كرمه وعطفه فأسأله مالا آخر لكن ما حيلتى ؟ لا

مطمع لى فى وفاء دينه إلا من هذا السبيل ! عجبا لأمر هذا الرجل الكريم .. أسأله الشيء أعلم ألا حق لى فى سؤاله منه فإذا هو يشعرنى بأن ذلك من حقى عليه .

(**يدخل عبد التواب وبيده صندوق صغير**) .

عبد التواب: قد يسر الله ما أبتغيته لك يا قاسم . (**يقدم إليه الصندوق**) .

قاسم : ما هذا يا عبد التواب ؟

عبد التواب: خذ هذه الحلى فبعها فلن يقل ثمنها عن ألفى دينار .

قاسم : كلا يا عبد التواب لا أقبل أبدا أن تتنزل لى عن حلى أهلك .

عبد التواب: إنها لأختى آسية قد نزلت لى عنها بطيب خاطر .

قاسم : لا والله لا ترزؤها حليها من أجلى .

عبد التواب : إنها قد أسنت فما بقى لها فى الحلى من حاجة اقبل هذه الحلى من أجلى واجعلنى شريكا فى تجارتك لعل الخير يأتينى من قبلك ! لطالما تمنيت أن يكون لى تجارة فى الشام ، وها قد حقق الله أمنيتى على يدك .

قاسم : (**يأخذ الصندوق منه**) ما أكرمك يا عبد التواب .. والله لولا حرصى على وفاء دينك كله ما قبلت كل هذا منك .

عبد التواب: شكرا لك يا قاسم لقد فرجت شيئا من كربى وخففت عنى بعض ما أجد .

قاسم : أوتشكرنى يا عبد التواب على أن قبلت برك وكرمك ؟ سبحان الله الذى خلقك ! ما أنت يا صاحبى بشرا .. إن أنت إلا ملك كريم .

(**ستار**)

المشهد الثانى

(فى منزل إسماعيل المرزوق ـــ حجرة متوسطة ذات أثاث حسن إلا أنه قديم . وقد علقت على جدرانها ضروب مختلفة من الأسلحة على سبيل الزينة .. للحجرة بابان من يمين وشمال .)

(يرى إسماعيل واقفا أمام مرآة من الفضة يصلح هندامه بعناية بالغة كأنه متأهب للخروج من داره وقد ارتدى ثيابا كثياب الجند بادية القدم بيد أن على رأسه عمامة كعمائم العامة .)

إسماعيل : (ينادى) كوثر ! يا كوثر !

كوثر : (صوتها) لبيك يا أبى ! (تدخل منطلقة فى خفة ورشاقة كأنها ترقص) أخارج أنت يا أبى الساعة ؟

إسماعيل : (ينظر إليها بحنان وتدليل) نعم يا حبيبتى .. كيف ترينني ؟

كوثر : (تنظر إليه من أمام ومن خلف) كامل الهيئة يا

أبى .. جندى بهى الطلعة !

إسماعيل : (**كمن لم يرضه ما قالت**) بهى الطلعة ؟

كوثر : (**مبتسمة**) نعم .. ولكن مهيب الجانب مرهوب اللقاء !

إسماعيل : (**يضحك راضيا**) بارك الله فيك يا كوثر .. (**يفتل شاربيه مزهوا**) آه يا بنتى لو رأيتنى فى حومة القتال ..

كوثر : (**تقول معه فى وقت واحد**) وأنا أشد على الأبطال فيفرون من وجهى كالنعام فمنهم من ينجو ومنهم من يقع ..

إسماعيل : (**بين التعجب والامتعاض**) ما هذا يا كوثر ؟ ممن سمعت هذا ؟

كوثر : (**تضحك**) منك يا أبى ! (**تحاول إرضاءه**) إنى أحفظ كل كلمة تقولها .

إسماعيل : (**تبرق أساريره**) معجبة والله بأبيها الجندى الشجاع ! بارك الله فيك يا كوثر !
(**يتلفت يمنة ويسرة ثم يقول بصوت خافت**) إياك يا بنتى أن تسمعى لكلام أمك . إنها تريد أن تزوجك تاجر غلال لا يقدر فى حياته على قتل طفل أو امرأة ! كلا لست من ذاك . هى ابنة زيات حقير .

كوثر : وأنا ابنة جندى خطير !

إسماعيل : (**معجبا**) بارك الله فيك ! أحضرى لى الآن عصاى يا كوثر .

كوثر : سمعا يا أبى (تخرج منطلقة) .

(تدخل ميمونة)

ميمونة : ماذا كنت تقول لكوثر ؟

إسماعيل : (يرتعد خوفا) ما قلت لها شيئا يا ميمونة .

ميمونة : بل أردت أن تثبطها عن قبول عبد التواب المقدادى .. إنى أعرفك !

إسماعيل : أجل .. إنه لا يصلح لها فهى ترغب أن يتزوجها جندى شجاع مثل أبيها .

ميمونة : كلا لا أدع ابنتى تنكب مثلى بمثلك ! حسبى ما لقيته منك .

إسماعيل : ماذا لقيت منى يا امرأة ؟

ميمونة : النوى والطوى !

إسماعيل : أما النوى فذلك شأن الجنود لا حيلة لهم فيه ، وأما شكواك من الطوى فما أعظم بهتانك . ألا تحمدين الله يا هذه على ما تتقلبين فيه من النعمة والخير ؟

ميمونة : (فى سخرية) بلى .. إنى لأحمده إذ لا يحمد على البلوى سواه .

إسماعيل : (يكظم غيظه) الأمر يا هذه لكوثر لا لى ولا لك .

ميمونة : بلى لى أنا الأمر كله .. أنا أعرف بمصلحتها منها ومنك .

إسماعيل : والله لا أزوجها أحدا إلا برضاها . (يهم بالخروج) .

ميمونة : (تستوقفه) على رسلك ! اليوم موعد آسية أخت عبد

التواب المقدادى لتسمع جوابنا بالقبول أو الرفض . فاعلم أنى سأنهى إليها أننا قد قبلنا خطبة عبد التواب .

إسماعيل : على شرط أن ترضى كوثر .

ميمونة : كلا .. بل على رغم أنفها وأنفك ! .

(**تدخل كوثر**) .

كوثر : (**عابسة**) أما تكفان عن النزاع فى شأنى ؟ هل ضجرتما من بقائى عندكما ؟ إنى لا أريد الزواج بعد .. لا أريد عبد التواب ولا غيره !

ميمونة : لابد أن تتزوجى عبد التواب . أين تجدين مثله يا قليلة العقل ؟

كوثر : هذه عصاك يا أبى فإن كنت تنوى الخروج فاخرج فقد جاءت أم مستور تزورنا . (**تناوله العصا**) .

ميمونة : أم مستور ؟

كوثر : نعم . أين أجلسها ؟

ميمونة : هل عندنا إلا هذه الحجرة ؟ أدخليها هنا . (**تخرج كوثر**) اخرج أنت يا رجل ماذا تنتظر بعد ؟

إسماعيل : سبحان الله .. أنت استوقفتنى وقد كنت خارجا قبل الساعة . (**يتوجه نحو اليمين ليخرج**) .

ميمونة : سأقول لأخت عبد التواب أننا قبلنا خطبته .. أسمعت ؟

إسماعيل : زوجيه لابنتك أو تزوجيه أنت .. لا شأن لى بما تفعلين !

(**يخرج**) .

ميمونة : يا شيخ السوء ! لو أنى تزوجت تاجرا غنيا مثله ما كنت فى هذه الحال !

(تدخل كوثر ومعها أم مستور)

ميمونة : **(تقبل على أم مستور)** مرحبا بك يا أم مستور **(تصافحها)** هلمى اجلسى .

أم مستور : لعلى جئت فى وقت غير ملائم . **(تجلس)** .

ميمونة : كلا يا أختى بل جئت على الرحب والسعة **(تجلس وتجلس كوثر بجانبها وفى وجهها عبوس)** .

أم مستور : شكرا يا ميمونة .. شعرت بالضيق من جلوسى وحدى فى البيت فقلت أزوركم لعلى أتسلى بالحديث معكم .

ميمونة : أهلا بك يا أم مستور .. إنك لتؤنسينا بزيارتك .. كيف أنت اليوم ؟ لعلك تعزيت قليلا وخف عنك بعض حزنك !

أم مستور : هيهات العزاء يا ميمونة .. كل شىء فى البيت يذكرنى بغيداء **(تغرورق عيناها بالدموع)** يخيل إلى أحيانا أننى أسمع صوتها تنادينى من الحجرة الأخرى

ميمونة : **(متأثرة)** تجلدى يا أم مستور فهذه سنة الحياة ..

أم مستور : كيف السبيل إلى العزاء وخيالها يلازمنى إذ هى فى فراشها تصارع المرض ويصارعها النزيف لا ينقطع عنها وهى تذبل كل يوم حتى فاضت روحها بين يدى فإذا هى جثة هامدة ، أحركها فلا تحس وأدعوها فلا تجيب !

(**تنتحب**) .

ميمونة : يا ويحها .. ألم تجدوا علاجا لذلك النزيف ؟

أم مستور : لقد جربنا كل علاج فما أجدى شيئا ، وأى علاج يمكن أن ينفع وقلبها يضطرم بالحسرة لحبس زوجها ويتقطع حزنا عليه ؟

ميمونة : مسكينة !

أم مستور : (**تمسح دمعها**) جنّبك الله السوء يا أختى ومتعك بشباب ابنتك ! (**تنظر إلى كوثر**) ما شاء الله .. لقد كبرت كوثر وأضحت عروسا .

ميمونة : نعم .. كلما كبرت كبر عيبها معها .

أم مستور : كنت أقول مثل ذلك عن غيداء ، ما عرفت قيمتها حتى ذهبت عنى فذهب معها كل جميل فى الحياة .. (**تلتفت إلى كوثر**) إياك يا بنتى أن تصدق هذا الكلام من أمك .

كوثر : ماذا أصنع لها يا خالتى ؟ لا يرضيها منى شيء .

أم مستور : علام يا ميمونة ؟ ما أرى كوثر إلا فتاة طيبة .

ميمونة : علتها من أبيها يا أم مستور . أنا أحاول إصلاحها وهو يفسدها بفرط تدليله .

أم مستور : دعيها تنعم بتدليل أبيها قبل أن تفارق العش الذى درجت فيه إلى عش آخر . ألم يجيء لها خاطب ترضونه بعد ؟

ميمونة : إنك غير غريبة عنا يا أم مستور . قد جاءها خاطب من أفضل الرجال ، ولكن الشقية تتجنى عليه .

أم مستور : فيم يا بنيتى ؟ إن أملك أعرف منك بمن يصلح لك .

ميمونة : ووالدها يتجنى أيضا عليه ! قال إنه يريد لابنته جنديا مثله . ألا تعجبين من هذا الشيخ الهرم .. يؤثر جنديا فقيرا لا يؤمن جانبه ، ولا استقرار له ، على تاجر كبير ملء السمع والبصر ؟

أم مستور : إن شئت الحق يا أختى فالأرزاق بيد الله سبحانه ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، فإن التاجر الكبير قد يفلس ، وقد يغتنى الرجل الفقير .

ميمونة : هذا حق يا أم مستور ، ولكن على المرء أن يحتاط لنفسه ثم يفوض الأمر بعد ذلك لله .

كوثر : علام تتعجلان تزويجى ؟ إننى لا أريد الزواج بعد .

ميمونة : إننا لا نتعجل يا بنتى ، ولكن الخاطب الكريم قد جاء يقرع بابك . فوالله لئن رددناه لا يجيئنا مثله أبدا .

أم مستور : ليت شعرى من يكون هذا الخاطب الكريم ؟

ميمونة : عبد التواب بن صالح المقدادى .

أم مستور : (**فاغرة فاها من الدهش**) عبد التواب !

ميمونة : نعم .. إنك تعرفينه يا أم مستور .. هو صديق قاسم المغربى زوج غيداء ابنتك .

أم مستور : (**تحاول إخفاء اضطرابها**) أجل أعرفه .. هذا رجل لا يؤتمن على الأعراض ..

ميمونة : (**مقاطعة فى دهش**) ماذا تقولين يا أم مستور ؟ كيف

تطعنين فى هذا الرجل المستقيم الطيب ، ماذا علمت عليه من سوء ؟

أم مستور : (**تبلع ريقها محاولة إصلاح مازل به لسانها**) لا أعلم على عبد التواب إلا كل خير .

ميمونة : فكيف قلت فيه ما قلت ؟

أم مستور : (**تتجاهل**) ويلى .. ماذا قلت فيه ؟

ميمونة : إنه رجل لا يؤتمن على الأعراض !

أم مستور : أستغفر الله .. ما إلى هذا قصدت ، ولكنك اعترضت حديثى قبل أن أتمه . لقد أردت أن أقول إنه رجل لا يؤتمن على الأعراض فحسب بل يصونها ! .

ميمونة : (**تتنفس الصعداء**) الحمد لله .. حسبتك تعرفين له مغمزا لا نعرفه .

أم مستور : معاذ الله أن أغمز رجلا كريما أنقذ زوج غيداء ابنتى من سجنه !

ميمونة : لكنى آنست تغيرا فى وجهك حينما ذكرت اسمه لك !

أم مستور : أجل .. إن اسمه يذكرنى بغيداء رحمها الله — فيخطر بذهنى أنه لو خلص زوجها قبل ذلك لربما أنقذ حياتها أيضا ! لكنه — واأسفاه — ما خلصه إلا بعد فوات الأوان .

ميمونة : لعله لم يستطع إرضاء دائنيه قبل ذلك .

أم مستور : نعم .. أنا لا أنكر فضله ومعروفه على كل حال ، فقد كان

يتعهدنا فى محنتنا ويساعدنا وفاء لصديقه قاسم ولا سيما فى غياب ابننا مستور .

ميمونة : وأين كان ابنك مستور ؟

أم ميسور : كان يتدرب فى الجيش ولا يجىء إلينا إلا لماما .

ميمونة : أباق هو فى الجيش حتى اليوم ؟

أم ميسور : نعم .

ميمونة : لم لا يترك الجيش ليبقى عندك فيؤنس وحدتك ؟

أم مستور : لا سبيل إلى ذلك يا أم كوثر . إن الذى يدخل فى الجيش لا يخرج منه إلا بإذن الأمير ابن طولون ومن لنا بهذا الإذن ؟

ميمونة : لو ترفعين التماسك إلى ابن طولون لرجوت أن يقبل .

أم مستور : لكن ماذا يصنع ابنى إن ترك الجيش ؟ ما إخاله يصلح لشىء آخر . وقد قيل إنه سيكون جنديا ممتازا وسيبلغ أرق المراتب فى جيش الأمير . فعسى أن ينفعنى فى مستقبل أيامه .

ميمونة : لا خيب الله رجاءك فيه .. .

أم مستور : (**تلتفت إلى كوثر مداعبة**) لو كنت أعلم يا كوثر أنك ترغبين فى الزواج من جندى مثل أبيك لخطبتك لمستور ، ولكننا فقراء وعبد التواب خير لك منه ألف مرة !

كوثر : إنى يا خالتى لا رغبة لى بعد فى الزواج .

ميمونة : (**مجاملة**) لو تقدم إليها ابنك قبل أن يخطبها عبد التواب ما ترددنا فى قبوله من أجلك يا أم مستور .

أم مستور : إنما قلت هذا مازحة ، فمستور أيضا قد خطب أخت قاسم ، فلا يليق بنا أن نفسخ الخطبة وإلا ظن قاسم أننا إنما فعلنا ذلك بعد إفلاسه وحبسه . وعسى أن يبارك الله له فى تجارته الجديدة بالشام فيعود صالح الحال كما كان .

ميمونة : إن الزواج — كما قالوا — قسم وحظوظ .

أم ميسور : هذا حق . لقد كنا نوشك أن نزوج غيداء لأحد تجار اللؤلؤ من عُمان وقد تم بيننا كل شيء ، ولكنه رجع إلى بلاده فاختفى عنا فى آخر لحظة لأنها ليست مقسومة له بل لقاسم .

ميمونة : الخير فيما اختاره الله .

أم ميسور : إى والله إن قاسما لمن خيرة الأزواج . كان شديد الحب لغيداء لا يكاد يعلم أنها تشتهى شيئا إلا أتاها به لساعته .

ميمونة : ما أقسى تصاريف الأيام إذ تفرق بين مثلها ومثله !

أم ميسور : (**تبكى**) آه لو شهدته لما جاءنى غداة خروجه من سجنه كيف بكى غيداء وكيف أكب على سريرها يلثم كل بقعة فيه وكيف قام إلى ثيابها وطفق ينشرها ويبللها بدموعه !

ميمونة : مسكين !

(**يسمع قرع على الباب من جهة اليسار**)

ميمونة : قومى انظرى يا كوثر .. لعلها آسية أخت عبد التواب !

(**تنهض كوثر متثاقلة فتخرج**) .

أم مستور : لا سامح الله من كان السبب فى موت ابنتى على تلك الحال

الأليمة .

ميمونة : من هو ؟

أم مستور : هل حسبتني أعني عبد التواب إذ لم يسارع بافتداء قاسم من سجنه حتى ماتت غيداء ؟ كلا يا أختي إنما أعني أولئك الدائنين الذين لا يعرفون الرحمة والشفقة !

(تدخل آسية وخلفها كوثر)

ميمونة : **(تنهض لها إلى الباب مرحبة)** أهلا بك يا آسية .. يا ألف مرحب **(تصافحها)** .

آسية : شكرا يا ميمونة **(يمتقع وجهها لرؤية أم مستور ولكنها سرعان ما أخفت شعورها)** أم مستور هنا .. مرحبا بك يا أم مستور **(تصافحها)** كيف حالك ؟

أم مستور : **(في شيء من الاضطراب)** الحمد لله يا آسية **(يجلسن)** .

آسية : كيف أنت يا أم كوثر وكيف عمي إسماعيل ؟

ميمونة : الحمد لله وكيف ابننا عبد التواب ؟

آسية : **(مبتسمة)** بخير .. يهديكم تحياته ..

(تومىء ميمونة لكوثر فتنهض كوثر)

آسية : دعيها معنا يا ميمونة .

ميمونة : إنها ستعود يا آسية **(تخرج كوثر)** .

أم مستور : هل تأذنين لي يا ميمونة فأنصرف ؟

ميمونة : بل ابقي قليلا يا أم مستور .. ماذا تصنعين وحدك في

بيتك ؟ (**لآسية**) إن أم مستور ليست غريبة عنا يا آسية وقد أعلمناها بكل شيء .

آسية : خيرا إن شاء الله .. هل أستطيع أن أزف إلى أخى بشرى القبول ؟

ميمونة : نعم يا آسية وكرامة عين !

آسية : أوَقد رضى أبوها ؟

ميمونة : لا شأن لأبيها ، أنا أعرف بمصلحتها منه . هذا رجل قد كبر فأوشك عقله أن يختلط .

آسية : وكوثر ؟

ميمونة : كوثر حديثة السن لا تعرف ما يصلح لها وما لا يصلح ، ولن نجد لها خيرا من أخيك .

أم مستور : أجل إن عبد التواب لرجل يندر مثله فى الرجال .. وله عندى يد لا أنساها له ما حييت .

آسية : إن أخى حفظه الله لمفطور على حب الخير للناس وسيكون إن شاء الله نعم الزوج لكوثر .

أم مستور : (**لآسية**) مبارك له فيها يا آسية .

آسية : بارك الله فيك .

أم مستور : (**لميمونة**) مبارك لها فيه يا ميمونة .

ميمونة : يسمع الله منك يا أم مستور .. قريبا إن شاء الله نهنئك بزواج مستور !

أم مستور : شكرا يا ميمونة هذا سابق لأوانه بعد .. حتى تندمل

جراحنا من غيداء إن كانت جراحنا تندمل أبدا !

آسية : هونى عليك يا أم مستور فكل جرح لا بد يوما أن يندمل .

أم مستور : (**بين الحزن والغضب**) إلا جرحى ! لا سبيل إلى اندماله . لا سامح الله من كان السبب ! لعنة المنتقم الجبار على من كان السبب !

آسية : (**مستغربة**) ..؟

ميمونة : إنها تدعو على الدائنين الذى حبسوا زوج ابنتها حتى ماتت ابنتها حزنا عليه .

أم مستور : نعم .. لعنة الله على دائنيه جميعا .. من سبق منهم ومن لحق .. (**ترفع يديها إلى السماء**) اللهم يا شديد الانتقام انتقم لى منهم فردا فردا . اللهم لا تمت أحدهم حتى تنكبه فى زوجته بمثل ما نكب ابنتى غيداء !

(تظهر كوثر على الباب داخلة تحمل أطباق الحلوى والفطائر)

(تنظر النسوة الثلاث إليها واجمات)

(ستار)

المشهد الثالث

(فى دار عبد التواب ـــ حجرة فى جناح الحريم تشبه فى هيئتها وأثاثها الحجرة السابقة فى المشهد الأول إلا أن هذه أبسط من تلك وأقل منها زينة . على اليمين باب يؤدى إلى مخدع كوثر وعلى اليسار باب يؤدى إلى سائر الجناح (الوقت أول الضحى) .

(تظهر آسية جالسة على الأريكة وبين يديها بعض الوسائد تصلحها وترتق فتوقها) .

آسية : (**تحدث نفسها**) هذا الضحى قد متع وهى نائمة بعد . يا ويح عبد التواب يخرج كل صباح من داره دون أن يرى وجه زوجته (**تدخل صالحة**) هل سخنت الماء لسيدتك كوثر ؟

صالحة : نعم يا سيدتى .. قد صار يغلى . ألم تستيقظ بعد ؟

آسية : لا يا صالحة .. ما زالت نائمة .

صالحة : سيبرد الماء كرة أخرى وسيحتاج إلى تسخين جديد .

آسية : (**تتنهد**) آه .. غطى القدر جيدا حتى لا يبرد .

صالحة : (تنظر عابسة إلى جهة مخدع كوثر) سمعا يا مولاتى (تخرج)

آسية : الله يرزقنا الصبر ! آه .. فى سبيلك يا عبد التواب كل مشقة تهون ! (تسمع حركة من اليمين) الحمد لله .. قد تعبت من طول النوم !

(تدخل كوثر من الباب الأيمن وهى فى ثياب النوم)

آسية : صباح الخير يا كوثر .

كوثر : صباح الخير .

آسية : لعلك نمت البارحة نومة طيبة .

كوثر : كما ينام سائر الناس . لولا أن البرغوث يضايقنى فى هذا البيت ويوقظنى من نومى مرة بعد مرة .

آسية : هذا موسم البرغوث يا كوثر وسينقضى وشيكا فلا يبقى له أثر .

كوثر : لا يكثر البرغوث إلا فى حيكم هذا . أما حى والدى فلا أثر للبرغوث فيه .

آسية : بل هو موجود فى كل مكان ولا يخلو منه بيت مهما نظف !

كوثر : أين صالحة ؟ هل أعدت الماء السخن ؟

آسية : نعم قد سخنت لك الماء مرتين .

(تخرج كوثر من الباب الأيسر)

آسية : تشكو من البراغيث .. لا يعجبها شىء فى هذا المنزل !

(تدخل صالحة وبيدها المكنسة) .

صالحة : أين أكنس يا سيدتى ؟

آسية : هل كنست المطبخ ؟

صالحة : نعم يا سيدتى قد كنسته .

آسية : فاكنسى مخدع سيدتك كوثر .. إنها تشكو من البراغيث فأحسنى كنسه .

صالحة : البراغيث ! إنى أكنسه كل يوم والبراغيث يا سيدتى فى كل مكان . هذا موسمها .

(تدخل إلى المخدع)

آسية : مسكين عبد التواب . لقد جنينا عليه !

صالحة : **(تظهر من باب المخدع)** معذرة يا مولاتى ..

آسية : ما خطبك ؟

صالحة : **(تدنو منها)** لماذا لا ينام مولاى عبد التواب فى هذا المخدع مع سيدتى كوثر !

آسية : **(تبتسم فى أسى)** لأنها صغيرة بعد يا صالحة .

صالحة : صغيرة ! هذه كبيرة تعرف كل شىء !

آسية : ويلك يا صالحة .. دعى عنك هذا واهتمى بعملك .

صالحة : إن كانت صغيرة بعد كما تقولين فلماذا زوجها أهلها له ؟ يا ويح مولاى ! ليس له من الزواج إلا الاسم . قد مضى على زواجهما شهران وهى تتأبى عليه . قولى له يضربها حتى تعود إلى صوابها !

آسية : (**تضحك ثم تكف عن الضحك فجأة**) هيا يا صالحة عودى إلى عملك .

صالحة : سمعا يا سيدتى (**تعود إلى المخدع**) .

آسية : والله إن ما تقوله الجارية لحق .. يا ويح عبد التواب !

صالحة : (**تعود للظهور**) إذا كان سيدى لا ينام معها فلماذا تستحم كل يوم فى الصباح ؟

آسية : (**تضحك**) يا هذه عودى إلى عملك !

صالحة : سمعا يا مولاتى .. (**تهم بدخول المخدع ولكنها تعود ثانية**) هل مولاى عبد التواب راض بهذا كله ؟ حقا إنها لجميلة ولكن ما خير جمالها له ؟

آسية : يا هذه ..

صالحة : ألم يشك إليك أمرها قط ؟

آسية : لا يا صالحة .

صالحة : ولا إلى . آه يا سيدتى لو فعل لأشرت عليه بالطريقة المثلى ؟

آسية : (**متضاحكة**) بم كنت تشيرين عليه ؟

صالحة : بأن يقيدها ليلة واحدة ثم يرسلها فلن ترضى أن تنام وحدها بعد ذلك أبدا .

آسية : (**تضحك**) ويلك يا صالحة يا قليلة الحياء !

صالحة : إن الله لا يستحى من الحق .. قولى له يجرب هذه الطريقة يا سيدتى فسيجدها إن شاء الله ناجعة .

آسية : كلا يا صالحة لا أستطيع .

صالحة : فى وسعى أن أقولها له ولكنى أخشى أن يغضب منى .. أنت يا سيدتى أخته لا يغضب منك .

آسية : يا ثرثارة .. ادخلى فاكنسى المخدع قبل أن تخرج من حمامها سيدتك !

صالحة : إى والله لتوسعننى شتما إن خرجت قبل أن أفرغ من كنسه . (**تدخل مسرعة إلى المخدع ولكنها لا تلبث أن تعود**) بقيت لى كلمة واحدة يا سيدتى ثم أتم كنس المخدع فما بقى منه إلا قليل .

آسية : قوليها وأسرعى .

صالحة : (**تتنهد**) آه يا مولاتى لو كنت شابة !

آسية : ويلك ما تقولين يا صالحة ؟

صالحة : لو كنت شابة لعرفت كيف أجعلها تغار عليه منى فلا تتركه يخرج من مخدعها بالليل ! لكن واأسفاه .. ما اشترانى مولاى إلا وأنا عجوز ! (**تدخل المخدع**) .

آسية : (**تغالب ضحكها**) ما أظرفها من جارية ! والله لا أدرى كيف أطيق البقاء على هذه الحال لولا وجود هذه الجارية معنا فى المنزل ؟ يا ويح عبد التواب أنا كنت السبب فى شقائه .. أنا اخترت له هذه التى أفسدها تدليل أبيها فلا تعرف حق الزوج ولا تبالى به ! (**تظهر صالحة**) أأتممت كنس المخدع ؟

صالحة : نعم .

آسية : فاكنسي هذه الحجرة . (**تنهض من مقعدها**) .

صالحة : سمعا يا مولاتى (**تأخذ فى كنس الحجرة**) .

آسية : أسرعى قبل أن يجيئنا ضيف . (**تخرج**) .

صالحة : ما أطيب مولاتى آسية .. حقا والله إنها لسكرة !

(**تدخل كوثر وعليها آثار الاستحمام**) .

كوثر : ما تصنعين يا صالحة ؟

صالحة : أكنس الحجرة يا مولاتى كما تريننى .

كوثر : هل كنست مخدعى ؟

صالحة : نعم يا مولاتى قد كنسته .

كوثر : دعى هذا أولا وهلمى ساعدينى على اللبس فإنى تأخرت عن زيارة والدى . وأخشى أن يخرج من البيت قبل مجيء .

صالحة : لماذا يا مولاتى لا يجيء والدك هنا كل يوم خيرا من ذهابك إليه ؟

كوثر : كفى عن أسئلتك السخيفة .. هلمى ساعدينى .

صالحة : إن مولاتى قد أمرتنى بكنس هذه الحجرة لعل أحد الضيوف يجيء .

كوثر : أنت جاريتى ، وأنا سيدتك .. أفهمت ؟

صالحة : أنت سيدتى وهى سيدتى أيضاً ؟

كوثر : كلا لا سيدة لك غيرى .. ألقى المكنسة من يدك !

صالحة : **(تظهر آسية على الباب الأيسرى من حيث لا تراها كوثر**

(**فتشير لصاحة أن تطيع**)

صالحة : أمرك يا سيدتى (**تلقى المكنسة وتدخل المخدع وراء كوثر**)

(**تتقدم آسية فتلتقط المكنسة وتأخذ فى كنس الحجرة**)

(**يسمع قرع الباب الخارجى من اليسار**)

آسية : (**تلقى المكنسة من يدها**) هذه قرعة الرباب !

(**تهرول مستبشرة وتخرج ثم تعود وخلفها الرباب عليها البرقع وقميص الخروج**) .

آسية : مرحبا يا بنتى .. إنى لفى شوق إليك !

(**تلتقط المكنسة لتستأنف الكنس**)

الرباب : أنت تكنسين يا أماه ! أين صالحة ؟

آسية : إنها مشغولة يا بنتى .

الرباب : مشغولة ؟ ماذا يشغلها ؟

آسية : عند كوثر تلبسها وتمشطها .

الرباب : يا للأميرة المدللة ! (**تخلع عنها البرقع والقميص**) هاتى المكنسة يا أماه .

آسية : لا عليك يا بنتى .. سأتمه أنا .

الرباب : كلا يا أماه .. لا أدعك تكنسين وأنا واقفة !

(**تجذب المكنسة من يد آسية وتأخذ فى الكنس**) كيف حالى يا أماه ؟

آسية : (**تتم عملها فى الوسائد التى على الأريكة**) بخير يا بنتى...

دائما يسأل عنك . ابقى اليوم عندنا حتى يعود .

الرباب : سأبقى يا أماه .. إنى فى شوق أن أراه .

آسية : هل استأذنت زوجك ؟

الرباب : نعم وأذن لى وقد تركت صهباء لتعد له غداءه .

آسية : بارك الله فيك يا بنتى وأسعدك !

(تدخل كوثر فى زينتها وعليها البرقع وقميص الخروج وخلفها صالحة) .

كوثر : أهلا بالرباب .. متى جئت ؟

الرباب : الساعة .

كوثر : خذى المكنسة من يدها يا صالحة ! ويلك كيف تبقين واقفة هكذا كالحائط وأنت ترينها تكنس ؟

صالحة : إنما كنت أنتظر الأوامر يا مولاتى .

كوثر : ماذا تنتظرين يا قليلة الذوق ؟ تدعين سيدتك تكنس مكانك !

صالحة : لقد كانت سيدتى آسية تكنس مكانى من قبلها وأنا واقفة أمشط شعرك !

كوثر : أنت الآن لا تمشطين شعرى فما وقوفك هكذا كأنك ضيفة قادمة ؟

الرباب : دعيها يا كوثر .. سأتم أنا العمل الذى بدأته أمى !

كوثر : (**تنهر صالحة**) خذى المكنسة من يدها يا بومة الليل !

صالحة : هاتيها يا سيدتى الرباب (**تجذب المكنسة من يد**

الرباب) .

كوثر : (**للرباب**) أما تزورينا يا أختى إلا وأنا خارجة ؟

الرباب : ما حيلتى فيك وأنت كل يوم تخرجين لزيارة أهلك ؟

كوثر : لولا خشيتى أن يخرج والدى من الدار قبل أن أراه للبثت قليلا معك .

الرباب : (**مداعبة**) عجبا لخالى عبد التواب كيف يأذن لك كل يوم بالخروج . سأقول له اليوم ليمنعك .

كوثر : لا يقدر أحد أن يمنعنى من زيارة أهلى .

الرباب : أنا اليوم ضيفتك فكيف تتركيننى ؟

كوثر : عندك والدتك وعندك صالحة ! (**تمشى نحو الباب لتخرج**) .

آسية : ألا تفطرين أولا يا كوثر فإنك ما أفطرت بعد .

كوثر : لا وقت عندى .. سأفطر هناك عند أهلى . (**تخرج**) .

صالحة : تدّعى أن البيت بيتها وهى لا تحب البقاء فيه !

الرباب : هذا أمر لا يطاق يا أماه .. كيف تصبرين على كل هذا ؟

آسية : لا بأس أن نحتملها من أجل خالك يا رباب .

الرباب : ذاك لو كانت تعز خالى ، ولكنها لا تأبه له ولا تحرص على رضاه .

صالحة : تنام فى حجرة وينام فى حجرة أخرى .. فى أى شرع يجوز هذا ؟

آسية : (**لصالحة التى فرغت من كنس الحجرة**) اذهبى

فأطعمي الدواجن يا صالحة .

صالحة : سمعا يا مولاتى (تخرج) .

آسية : إنها صبية مدللة يا رباب ، وستعقل غدا إن شاء الله فتعرف لزوجها حقه .

الرباب : كان على أهلها أن يربوها ويؤدبوها قبل أن يزفوها إلى بيت الزوج .

آسية : أشهد أن والدتها لم تقصر فى تأديبها ، ولكن والدها هو الذى أفسدها بفرط تدليله .

الرباب : أوَ ترضين لخالى أن يتحمل سوء أدبها ؟ ما ذنبه فى ذلك ؟ ألا ترينه فى غم وكآبة ؟

آسية : هذه الكآبة قد كانت فيه من قبل أن يتزوجها . والله لا أدرى ماذا بخالك يا رباب ، فقد كان بشوشا مراحا حتى جاءت أم مستور تستنجد به لما دخل زوج ابنتها السجن ، فما لبث أن تغير طبعه فغلبت عليه الكآبة من يومئذ .

الرباب : أما أنا فما أنكرت طبعه إلا بعد ما تزوج من هذه الطائشة ؟

آسية : بل كان يكتم همه عنا من قبل يا رباب ويظهر لنا المرح والبشر لئلا نأسى لحاله . وقد كان يريبنى أنه لا يرى أم مستور أو يذكر اسمها عنده إلا ثارت شجونه فظهرت عليه .

الرباب : لعل ذلك من رثائه لمصابها يا أماه فإن خالى لرحيم القلب .

آسية : لا أدرى يا رباب . أستغفر الله .. لقد بدأت أكره هذه

المرأة وأستثقل زيارتها لنا .

(تدخل صالحة مسرعة) .

صالحة : هذا مولاى يا سيدتى قد جاء .

آسية : عجبا عاد اليوم قبل ميعاده .. ترى ما خطبه ؟

الرباب : **(تنهض فرحة)** لا بد أنه علم بمجيئى فبكر بالعودة !

(تخرج منطلقة) .

آسية : ماذا نقول له الساعة إن سأل عن كوثر ؟ سيزداد أساه إذا علم أنها خرجت .

(يدخل عبد التواب ويده فى يد الرباب) .

عبد التواب : لقد أحسنت بزيارتنا اليوم يا رباب فقد يطول غيابى عنك .

آسية : ماذا أعجلك اليوم يا عبد التواب ؟ خيرا إن شاء الله .

عبد التواب : تلقيت كتابا من قاسم المغربى شريكى بالشام يقول لى إن تجارته قد إتسعت هناك فهو يناشدنى أن ألحق به لأساعده فى تدبيرها وتوسيع نطاقها .

الرباب : يريدك يا خالى أن ترحل إلى الشام ؟

عبد التواب : نعم .

الرباب : كلا يا خالى .. كيف ترحل عنا وتتركنا ؟

عبد التواب : سأعود إليكم قريبا إن شاء الله .

آسية : ودكانك هنا ماذا تصنع به ؟

عبد التواب : سأقفله حتى أعود . إن التجارة هنا كاسدة فى هذه الأيام ،

وقد أكد لى قاسم أنى إن لحقت به فسنؤثل ثروة كبيرة فى عام أو عامين .

آسية : وكوثر زوجتك .. كيف تتركها ولما يمض على زواجكما غير شهرين ؟

عبد التواب : (**يظهر فى وجهه الأسى**) أين هى يا آسية ؟

آسية : (**فى ارتباك**) خرجت اليوم تزور أهلها ..

عبد التواب : اليوم فقط ؟ (**تصمت آسية**) .

الرباب : لا يا خالى بل كل يوم . لماذا يا أمى لا تخبرينه بالحقيقة ؟

آسية : لا بأس يا عبد التواب فإنها لصغر سنها ما تزال شديدة التعلق بأهلها .

عبد التواب : إذن فلا بأس يا أختى من بعادى عنها . بل من يدرى لعل ذلك يهديها إلى صوابها ويعطفها علىّ فتعرف حقى حين أعود .

آسية : لا شك أنها ستعقل غدا ما لا تعقل اليوم . إن طيشها هذا لا يمكن أن يدوم ، ولكنى أخشى يا عبد التواب أن تتحمل مشاق الغربة دون أن تظفر هناك بما تريد ..

عبد التواب : كلا يا آسية .. إن التجارة جد منتعشة هناك ، وفرص الربح كثيرة واسعة . وأنا اليوم كما تعلمين أعانى أزمة شديدة ، وهذه فرصة قد سنحت لتفريج ضيقتى وتحسين حالى فلا ينبغى أن أضيعها .

آسية : سيوحشنا فراقك يا عبد التواب ، ولكن إن شرح الله

صدرك لهذا فتوكل عليه فإنك ميمون الناصية ، والله أكرم من أن يضيم برا كريما مثلك .

(**تدخل صالحة**) .

صالحة : أم مستور يا مولاتى .

آسية : (**تخفى برمها**) هل ندخلها هنا يا عبد التواب ؟

عبد التواب : (**فى وجوم**) نعم .. دعوها تدخل .

آسية : دعيها تدخل يا صالحة (**تخرج صالحة**) قومى واستقبليها يا رباب .

(**ينهض عبد التواب**)

آسية : إلى أين يا عبد التواب ؟ ألا تحب أن تراها ؟

عبد التواب : (**محاولا إخفاء اضطرابه**) سأخلو الآن قليلا إلى نفسى لأستخير الله فى أمرى ، فإن رغبت أم مستور فى مقابلتى ..

آسية : لا شك أنها ترغب فى ذلك . إنها لا تزورنا إلا لتراك !

عبد التواب : فدعيها تنتظرنى .. سأعود وشيكا (**يخرج من اليمين**) .

آسية : أستغفر الله .. لا أدرى لماذا ينفر قلبى من هذه المرأة وينقبض صدرى كلما رأيتها ..

(**تدخل الرباب ومعها أم مستور**)

أم مستور : أسعد الله صباحك يا آسية !

آسية : (**تقبل عليها فتصافحها**) مرحبا بك يا أم مستور ... كيف أنت ؟

أم مستور : الحمد لله الذى لا يحمد على المكروه سواه ! (**تتنهد**) .

آسية : هلمي اجلسي يا أم مستور (يجلسن) .

أم مستور : يسرني والله أن أجد الرباب عندكم اليوم فإني ما رأيتها من عهد بعيد . كيف حالك يا بنتي وكيف حال بعلك ؟

الرباب : الحمد لله يا خالتي أم مستور .

أم مستور : حرس الله شبابك يا بنتي وكفاك السوء ، ألم تحملي يا بنتي بعد ؟

آسية : دعيها تستمتع بنفسها يا أم مستور .. علام العجل ؟

أم مستور : صدقت يا آسية .. إنها لا تزال عروسا جديدة . الله يحميها من شر الحمل وأخطاره !

آسية : كل شيء بقضاء الله يا أم مستور وما نحن إلا عبيده لا نملك من أمرنا شيئا .

أم مستور : ترى أين كوثر ؟ أليست هنا في الدار ؟

آسية : إنها عند أهلها اليوم تزورهم .

أم مستور : ما أذكر أني جئت يوما قط فوجدتها عندكم .. أفتخرج لزيارة أهلها كل يوم ؟

آسية : لا يا أم مستور بل في بعض الأيام .

أم مستور : يخيل إلي أن أخاك عبد التواب لم يجد فيها بغيته وأنها لا تقوم بالواجب .

آسية : (متضايقة) هي صغيرة السن بعد وغدا تعقل .

عبد التواب : (صوته) هل عندكم أحد يا آسية ؟

آسية : ادخل يا عبد التواب .. ما عندنا سوى أم مستور .

أم مستور : (**بصوت خافت**) يا ويلي أهو هنا اليوم ؟
عبد التواب : (**يدخل**) أهلا بأم مستور (**يصافحها ثم يجلس**)
أم مستور : كيف أنت يا عبد التواب ؟ لعلك ما تزال بخير !
عبد التواب : (**يجفل قليلا ثم يستعيد هدوءه**) الحمد لله يا أم مستور .
أم مستور : هل تلقيت كتابا جديدا من قاسم ؟
عبد التواب : نعم .
أم مستور : ما أخباره ؟
عبد التواب : تسرك يا أم مستور .
أم مستور : وتجارته ؟
عبد التواب : ناجحة بحمد الله .

(**يسود الصمت قليلا**)

آسية : (**تنهض**) لقد تركنا صالحة فى المطبخ .. تعالى يا رباب لنرى ماذا صنعت .

(**تخرج وتخرج خلفها الرباب**) .

أم مستور : (**تتلفت**) كل هذا بفضلك يا عبد التواب .
عبد التواب : (**يتغير وجهه**) بل بفضل الله يا أم مستور .
أم مستور : (**تتلفت ثانية ثم تدنو منه والحقد يتطاير من عينيها**) بل كان هذا بسوء فعلك أيها الأثيم ؟
عبد التواب : (**يشيح عنها بوجهه وفرائصه ترعد**) أما آن يا أم مستور أن تعفى عنى وتسامحينى !
أم مستور : هيهات أن أنسى مصاب ابنتى فهيهات أن أسامحك !

عبد التواب : كفاني يا أم مستور ما لقيت من عذاب الحسرة والندم .. وأحسبني ما قصرت في برك ومعونتك .

أم مستور : أتحسب عطاياك وهداياك تنسيني حياة غيداء التي قضت نحبها وهي تنوء بخزيك وعارك ؟ آه لولا خشية الفضيحة لأعلنت أمرك في الناس ولأخبرت أخاها وزوجها فانتقما لعرضهما منك . ولكن انتظر ! الله هو الذي سينتقم منك وسيكون انتقامه عظيما !

(يسمع حس قادم من جهة الباب الأيسر فتعود أم مستور إلى مكانها مسرعة) .

أم مستور : **(تغير لهجتها)** كل هذا بفضلك يا عبد التواب ! **(تظهر آمـية مقبلة من اليسار)** والله لا أنسى صنيعك ما حييت !

(ستار)

الفصل الثانى

المشهد الأول

(فى منزل عبد التواب ـــ نفس المنظر كما فى المشهد الأول من الفصل الأول) .

(بعد مرور عام ونصف عام من حوادث الفصل الأول)

(الوقت بعد صلاة العصر)

(تظهر صالحة داخلة من الباب الأيسر وهى تحمل قدحا مملوءا شرابا)

صالحة : هأنذا قد عدت أصنع شراب الليمون لمولاى عبد التواب كدأبى معه قبل سفره إلى الشام (**تتقدم حتى تقف عند صدر المسرح**) ترى ماذا يقول لى مولاى حين يعود من صلاة العصر فيجدنى واقفة أنتظره هنا بقدحه ! لا ريب أنه سيسر منى وسيقول لى شكرا يا صالحة .. أشكرك يا صالحة .. إنى مسرور منك يا صالحة !

(يقرع الباب الخارجى من اليمين)

صالحة : (**تضع القدح فى ركن أمام الأريكة**) ها هو ذا مولاى قد

جاء ! (**تخرج منطلقة من الباب الأيمن ثم تعود منطلقة كذلك فتحمل القدح**) .

عبد التواب : (**يدخل**) ما هذا يا صالحة ؟

صالحة : هذا يا مولاى قدح الشراب الذى كنت أصنعه لك . أما عدت تحبه يا مولاى كعادتك من قبل ؟

عبد التواب : (**يتناول القدح ويجلس**) بلى يا صالحة إنى لا أزال أحبه وأستجيده من صنع يدك .

صالحة : لكنك يا مولاى لم تأمرنى بصنعه منذ قدمت من سفرك .

عبد التواب : (**يحسى الشراب**) إنما نسيت يا صالحة أن أسألك إياه .

صالحة : ها قد صنعته لك من تلقاء نفسى ..

عبد التواب : بوركت يا صالحة .. أنا مسرور منك (**يفرغ القدح**) الحمد لله .. أين سيدتك آسية ؟

صالحة : تصلى العصر يا مولاى .

عبد التواب : وأنت ألا تصلين يا صالحة ؟

صالحة : بلى يا مولاى .

عبد التواب : لماذا لا تصلين مع سيدتك جماعة ؟

صالحة : (**تبتسم**) يا مولاى .. إن النساء ، لا يسألن عن صلاتهن فقد يكن معذورات !

عبد التواب : أما يزال يأتيك العذر يا صالحة ؟

صالحة : لم لا يا مولاى ؟ لم أبلغ بعد سن اليأس ولا أنا بالحبلى ولا بالعليلة !

(يتغير وجه عبد التواب ويرنو إليها كالمتطلع)

صالحة : ماذا بك يا مولاى ؟ هل أغضبك قولى ؟

عبد التواب : (**كمن ينتبه من ذهوله**) لا .. لا يا صالحة .

صالحة : (**فى استعطاف**) معذرة يا مولاى إن كنت تجاوزت حدى معك .

عبد التواب : (**يحد إليها النظر**) م تعتذرين ؟ أفصحى لى يا جارية إن كنت تعلمين شيئا لا أعلمه !

صالحة : (**فى وجل**) أى شىء يا مولاى ؟ إنى لا أعرف ماذا تعنى .

عبد التواب : أما تعرفين شيئا عنها ؟

صالحة : عمن يا مولاى ؟

عبد التواب : سيدتك كوثر !

صالحة : قد رأيتها بنفسك يا مولاى .. ألم تعرف علتها ؟

عبد التواب : ويلك ، عن تلك العلة أسألك ؟

صالحة : ما يدرينى يا مولاى ؟ سمعت سيدتى آسية تقول إنها عرق النسا .. والله لا أدرى ما هو عرق النساء هذا ولا لماذا اختص به النساء من دون الرجال . (**يفتر ثغر عبد التواب عن ابتسامة يغالبها**) هأنتذا يا مولاى قد بدأت ترضى عنى !

عبد التواب : أما عندك يا صالحة غير ما ذكرت ؟

صالحة : لا والله يا مولاى .. هذا كل ما أعرفه .. آه ياليتنى حقا أعرف طب هذا المرض إذن لشفيت لك سيدتى كوثر منه

ولوجدتها اليوم بيننا متعافية !

عبد التواب : خذى يا صالحة قدحك (يناولها القدح)

(تدخل آسية)

آسية : ما هذا يا صالحة ؟

صالحة : شراب الليمون يا سيدتى صنعته لمولاى (تخرج) .

آسية : (تدنو من عبد التواب) هل زرت دار حميك يا عبد التواب ؟

عبدالتواب : نعم .

آسية : فكيف وجدت اليوم زوجتك ؟

عبدالتواب : كما تركتها أمس .

آسية : ألم تجىء لهم بالطبيب الذى تعرفه ؟

عبد التواب : بلى قد جئتهم به اليوم ليعالجها فامتنعوا من عرضها عليه .

آسية : لماذا ؟

عبد التواب : قالوا إن ذلك حرام .

آسية : لكن هذا حلال للضرورة .

عبد التواب : حاولت جاهدا لأقنعهم بهذا فأصروا على امتناعهم وقالوا إن لديهم طبيبة تعالجها فهم لا يريدون غيرها إشفاقا على ابنتهم أن يلحقها الضرر من اختلاف العلاج . أتعرفين يا آسية من تلك الطبيبة ؟

آسية : لا والله يا أخى لا أعرف من هى ولكنى سمعتهم يقولون إنها طبيبة ماهرة .

عبد التواب : هل رأيتها قط عندهم ؟

آسية : لا يا أخي ما رأيتها قط .

عبد التواب : فماذا ترين ؟

آسية : هون عليك يا عبد التواب فإن الله هو الشافى لا شافى غيره .

عبد التواب : كلا يا آسية .. لست أعنى هذا .

آسية : فماذا تعنى يا عبد التواب ؟

(تدخل صالحة فى شيء من الاضطراب)

صالحة : سيدى عبد الجواد يا مولاى !

عبد التواب : فيم اضطرابك يا صالحة ؟

صالحة : **(بصوت خافض)** لا شيء يا مولاى .. وإنما سمعت باب الحريم يقرع فتوقعت أن أفتح لامرأة فإذا بى يطلع لى رجل !

(يضحك عبد التواب وآسية)

(يدخل عبد الجواد)

عبد الجواد : **(يرمق صالحة بنظرة غاضبة)** ماذا قلت عنى يا لخناء ؟

صالحة : **(وجلة)** لا شيء يا سيدى .. قلت لهما إنك جئت !

(تنسل خارجة) .

عبد التواب : **(ينهض له)** لا تؤاخذ هذه يا عبد الجواد فإنها طيبة القلب ..

عبد الجواد : قبحها الله .. كلما فتحت لى الباب تهرب منى كأنما أنا

شيطان !

عبد التواب: هذه سليمة النية وهى تهابك فلو أنك لاينتها لاطمأنت إليك !

(يصافحه باحتفاء)

آسية : (**مستضحكة**) لحاك الله يا صالحة ! (**تصافح عبد الجواد بغير ارتياح**) .

عبد الجواد : والله ما أفسد هذه الجارية وجرأها على مثلى إلا لينكم معها واستلطافكم لسوء أدبها !

(**يجلس**) .

عبد التواب: يا أخى لا تأخذ هناتها مأخذ الجد .

عبد الجواد : لا على منها .. ماذا يعنينى أمرها ؟ إنما جئتك اليوم يا أخى لأكلمك فى شأن آخر .

عبد التواب: خيرا إن شاء الله .

عبد الجواد : لقد هممت أن أكلمك فى ذلك يوم مقدمك ، ولكنى آثرت ألا أخلط بالتهنئة آخر . فرضت نفسى على الصبر حتى اليوم .

عبد التواب: ما ذلك الأمر الذى تريد أن تكلمنى فيه ؟

عبد الجواد : خمسمائة دينار تمنحها لمحمد ابن أخيك يستعين بها فى زواجه .

آسية : ليت شعرى متى يتزوج محمد هذا ؟ لقد ظللت تحدثنا عن زواجه منذ أربع سنين .

عبد الجواد : (مغضبا) ما شأنك أنت ؟ إنما أطلب من أخي لا منك .

عبد التواب : فيم يا أخي أجلت زواجه حتى اليوم ؟

عبد الجواد : لضيق ذات يد يا عبد التواب .. ليس عندى ما أصلح به شأنه .. لقد سألتك هذه المعونة قبل سفرك فاعتذرت يومئذ بالضيق ، وها قد وسع الله عليك اليوم فقدمت من الشام بمال عظيم ، فما ضر لو أفضلت على ابن أخيك كما أفضلت على الناس الأباعد !

آسية : من ذا تعني بالناس الأباعد ؟

عبد الجواد : اطمئني فما أعنى بناتك . هذا قاسم المغربى الذى كان بالأمس مفلسا قد صار اليوم غنيا وقد حضر من الشام لتزويج أخته ، وأعد لها جهازا عظيما .

عبد التواب : ما شأنك بقاسم المغربى ؟

عبد الجواد : ألست أنت الذى أنلته كلّ هذا من فضلك ؟ وأنا وأولادى أولى بمعروفك !

عبد التواب : إن اغتنى قاسم فبجده ومهارته ، ولا فضل لى عليه بل له الفضل علىّ .

عبد الجواد : أنت أعطيته رأس المال .

عبد التواب : لمنفعتي أعطيته ذاك ، فقد رد الدين الذى لى عليه وأشركنى بعد ذلك فى مكاسبه .

عبد الجواد : حقا إنك لأعرف منى بشؤون المال وأدرى منى بطرق استثماره . وقد أعطاك الله الخير فلا تضن على ابن أخيك

بنفقة زواجه .

آسية : قد أعطاك عبد التواب مائتي دينار ومائة دينار مرة أخرى من أجل هذا الزواج فماذا صنعت بها ؟

عبد الجواد : (محتدا) رميت بها للشيطان .. ألقيتها فى البحر .. ما شأنك أنت ؟ لقد كفلك عبد التواب وكفل بناتك ورباهن وزوجهن ، فدعيه اليوم يحسن إلينا .. ماذا يضرك ؟ ..

آسية : يضرنى ما يضر عبد التواب فلا كافل لنا غيره . وعلىّ أن أرعى مصلحته وألا أدع أحدا يبتز ماله بالاحتيال عليه !

عبد الجواد : أنت ترعين مصلحته ! والله لا ترعين إلا مصلحتك ومصالح بناتك !

آسية : نعم .. إنى أرعى مصلحتى فى مصلحته . أما أنت فلو استطعت أن تجرده من كل ماله لما باليت . لقد بلغ من حرصك وسوء دخيلتك أن طمعت فى ميراثه وهو حى ، فكرهت له أن يتزوج لئلا ينجب ولدا يحجبك !

عبد الجواد : كذبت .. إنما كنت أريد لأخى زوجة صالحة تقر بها عينه لا كهذه التى اخترتها له فنغصت بها عيشه وأطلت بها همه . ويلك ألا يعز عليك أن يقدم من السفر فلا يجد زوجته فى داره ؟

آسية : ويلك إنها مريضة .. أفتلومنى على أن أمرضها الله ؟

عبد الجواد : هذه ليست مريضة .

عبد التواب : (**يراع قليلا ولكنه يخفي اضطرابه**) فماذا بها إذن ؟

عبد الجواد : إنما اعتلت بالمرض كراهية أن تلقاك وتقيم معك . أما كانت تكره معاشرتك من قبل ؟

آسية : قد كان ذلك منها إذ كانت صغيرة بعد . ولكنها ما لبثت بعد رحيله عنها أن عادت إلى صوابها فهي اليوم تحبه وتعزه ، ولولا المرض لكانت اليوم هنا ولتمت بها سعادته .

عبد الجواد : هل شققت عن قلبها فعرفت أنها تحبه ؟

آسية : عرفت ذلك من كثرة اهتمامها واهتمام أمها به وهو غائب بالشام وسؤالهما عنه وعن موعد أوبته .

عبد التواب : (**في شبه ذهول**) أوَ كانتا تكثران السؤال عن موعد أوبتي يا آسية ؟

آسية : نعم يا عبد التواب . لشد ما كانتا تتلهفان على أنبائك وتترقبان يوم قدومك !

عبد الجواد : لعل ذلك لتعلما متى ينبغي لكوثر أن تفتعل هذا المرض .

آسية : ما أسخف رأيك .. أتظنها تصبر على ملازمة فراشها شهرين من أجل مرض مفتعل ؟

عبد الجواد : ماذا عليّ منها إن صح مرضها أو لم يصح ؟ إن كان عبد التواب يقبل نصيحتي فليطلقها وليرح باله !

آسية : اعلم يا عبد الجواد أنه إن طلقها فسيتزوج واحدة أخرى !

عبد الجواد : فليفعل .. من ذا يمنعه من ذلك !

عبد التواب : (**يثور فجأة كأنما كان نائما فنبهته لذعة نار**) كلا والله

لا أطلقها أبدا .. ويلكما ما أنتما وذاك ؟ من ذا أباح لكما أن تتداخلا فى خويصة أمرى ؟ أرأيت يا عبد الجواد لو أنى وقعت فى أم أولادك أمامك وقلت لك طلقها أكنت تقبل منى ذلك ؟

عبد الجواد : (**مستعطفا**) معذرة يا أخى .. لا تغضب منى فوالله ما جئت لأنصحك فى زوجتك فأنت حر فى أمرها . ولكن هذه الأخت العاقة قد استفزتنى فاستدرجتنى إلى الخوض فيما لا يحق لى ولا لها من خويصة أمرك !

آسية : والله إنك لأنت الأخ العاق ، لا يرجى خيرك ولا يؤمن شرك .

عبد الجواد : إنما تريد أن تحرمنى برك لتستأثر به دونى ودون ..

عبد التواب : (**صائحا بغضب**) كفى ملاحاة عندى ، ويلكما لقد زدتمانى هما على همى ، (**يسود الصمت هنيهة**) سأعطيك يا عبد الجواد ما تريد لابنك فانصرف الآن إن شئت .

عبد الجواد : (**ينهض**) شكرا يا أخى سأمضى الآن إلى محمد وأبشره بأن سؤاله قد أجيب ، (**يخرج**) .

آسية : عسى ألا تكون واجدا علىّ يا عبد التواب .

عبد التواب : عليك أنت يا آسية ؟ معاذ الله .. لو وجدت على الناس جميعا ما وجدت عليك . مالى فى الدنيا أحد سواك !

(**تدخل صالحة**)

صالحة : أم مستور يا مولاتى .

آسية : (**متأففة**) أم مستور .. ما مجيئها فى هذا الوقت ؟

عبد التواب: دعيها تدخل يا صالحة (**تخرج صالحة**) .

آسية : أستغفر الله يا أخى .. لا أدرى لماذا لا يقبل قلبى هذه المرأة !

عبد التواب: علام يا آسية ؟ إنها امرأة منكوبة تستحق العطف والرثاء .. هل بعثت إليها بهدية السفر ؟

آسية : نعم بعثت إليها بما أمرتنى به .

عبد التواب: لعلها جاءت لتشكرنا على الهدية .

آسية : ما إخالها فرحت كثيرا بهديتنا بعد ما أغرقها قاسم المغربى بهداياه .

عبد التواب: يا ويح قاسم ! إنه يكرمها وفاء لزوجته المتوفاة !

(**تدخل أم مستور فتنهض لها آسية مرحبة**)

أم مستور : مرحبا بقدومك يا عبد التواب . الحمد لله إذ عدت سالما غانما إلى أهلك وبلدك . (**تصافحه**) .

عبد التواب: شكرا يا أم مستور .. يهنيك قدوم قاسم .

أم مستور : (**تجلس**) بفضلك يا عبد التواب .. كل هذا من خيرك . إنه يثنى عليك ثناء لو سمعته لأخجلك !

عبد التواب: (**يتغير وجهه قليلا**) والله يا أم مستور ما يستحق الثناء غيره .. لقد كان لى نعم الشريك الأمين .

أم مستور : وكنت له نعم الصديق الوفى !

عبد التواب: أستغفر الله يا أم مستور .. ما صنعت له شيئا .

أم مستور : بل صنعت له ما لم يصنع صديق لصديقه الدهر !

عبد التواب : لعل قدومه سرك وسرى عنك !

أم مستور : لا والله يا عبد التواب ، بل جدد أحزانى على غيداء واستثار شجونى .

عبد التواب : (**يغالب تأثره**) يحزننا يا أم مستور أن يطول عليها حزنك ويعز سلوانك .

آسية : أجل .. نسأل الله أن يلهمك العزاء يا أم مستور .

أم مستور : (**تغرورق عيناها بالدموع**) كيف السبيل إلى العزاء يا آسية وكل شيء يذكرنى غيداء ؟ حجرتها ومتاعها وثيابها وزوجها الحزين .. وعبد التواب .

آسية : (**فى استغراب**) عبد التواب ؟!

أم مستور : نعم حتى أخوك عبد التواب تذكرنى رؤيته بمصاب ابنتى .. أليس هو صديق زوجها الحميم ؟

آسية : كان الله لك يا أم مستور .. لشد ما أوغل بك الحزن !

أم مستور : يعجب الناس من فرط حزنى على غيداء . آه لو كانوا مكانى لعذرونى ! (**تمسح دمعها**) ويلى .. نسيت أن أسألكما عن كوثر .. كيف حالها الآن ؟

آسية : ادعى لها يا أم مستور . ما زالت راقدة فى فراشها .. كان عبد التواب عندها اليوم .

أم مستور : عجل الله لها بالشفاء ! مسكينة ! ماذا جنت يا ربى حتى تبتليها بهذا العقاب ! ألم يعرفوا ما مرضها بعد ؟

آسية : قالوا إن بها عرق النسا .

أم مستور : عليهم إذن أن يدثروها بالأغطية الثقيلة فما لهذا المرض خير من الدفء !

آسية : أجل .. إن أهلها لم يقصروا فى ذلك فما تراها إلا عليها الأغطية واللحف .

أم مستور : يعز علىّ والله أن تعتل كوثر . لقد كانت تحبنى وتودنى بالزيارة بين حين وحين .

عبد التواب : أين كانت تزورك يا أم مستور ؟

أم مستور : فى بيتى .. ألا تعلم يا عبد التواب أن غيابك بالشام لم يقطع عنى برك ولا ودادك . البر يأتينى كالعادة من طريق أختك ، والوداد يتخولنى من طريق زوجتك !

عبد التواب : أكانت تزورك مع والدتها ؟

أم مستور : كلا ما زارتنى مع والدتها قط . كانت كوثر تزورنى وحدها .

عبد التواب : هذا عجيب !

أم مستور : لا تعجب يا عبد التواب فإنها تعرف ودادك لى وعطفك علىّ فلعلها أحبت أن تودنى فى غيابك من حبها لك !

عبد التواب : هل كنت تعرفين ذلك يا آسية ؟

آسية : لا يا أخى ، ما علمت بهذا إلا الساعة من أم مستور . لعلها كانت تزور أم مستور حين تكون عند أهلها .

أم مستور : نعم كانت تأتينى من بيت أهلها فآنس بها وتأنس بى ، وما

انقطعت عن زيارتي إلا حين أقعدها المرض .

عبد التواب : (**يلحظ تغير وجه أخته**) هل لك يا آسية أن تصنعي لنا قليلا من شراب الليمون بيدك فقلما يعجبني ما تصنعه صالحة ؟

آسية : حبا يا أخي وكرامة (**تخرج**) .

عبد التواب : (**يدنو من أم مستور**) **ما هذا الذي صنعت** ؟ ألا تكفين عن تورياتك وتلميحاتك ؟ أتريدين أن تدعي أختي ترتاب من أقوالك ؟

أم ميسور : ما حيلتي فيك وأنت بطيء الفهم ؟ (**بصوت يتأجج فيه الحقد**) يا هذا كما تدين تدان !

عبد التواب : ماذا تعنين ؟ أفصحي ويلك !

أم ميسور : كوثر حبلى !

عبد التواب : ويلك ما تقولين ؟

أم ميسور : حبلى في شهرها السابع ! الحمد لله إذ أحياني حتى رأيت الانتقام الإلهي قد حل بك وحق عليك ! الآن استراح قلبي واشتفى غليلي ! .. مالك لا تجيب ؟

عبد التواب : إن كان ما تقولين حقا فاشمتي بي وبها ما شئت ؟

أم ميسور : كلا لا أشمت بك . أما كوثر فإني والله لآسى لها ، فقد كانت تودني بالزيارة حتى أصبح بيتي كأنه بيتها ! وكثيرا ما كنت أغيب عن المنزل فأجدها تنتظرني حتى أجيء !

عبد التواب : كأنك اتخذت لك خادما في منزلك ؟

أم ميسور : كلا .. من أين لى نفقة الخادم ؟ إنى أخدم نفسى .

عبد التواب : فكيف تدخل كوثر المنزل ؟ من ذا كان يفتح لها الباب ؟

أم ميسور : مستور ابنى .. كان يفتح لها الباب فيدعهاتنتظرنى فى حجرة وحدها حتى أعود !

(تسمع خطى آسية قادمة فيعود عبد التواب إلى مجلسه الأول)

(تدخل آسية حاملة قدحى شراب فتقدم أحدهما لأم مستور والآخر لعبد التواب)

أم ميسور : **(تشرب قدحها)** شكرا يا آسية **(تنهض)** قد آن لى الساعة أن أنصرف .

آسية : **(مجاملة)** ألا تبقين قليلا بعد .

أم ميسور : شكرا . قد دنا وقت المغرب ، وحسبى أننى وجدت عبد التواب وجلست معه بعد الغياب الطويل .

عبد التواب : **(بادى الأسى)** شكرا يا أم مستور لزيارتك .

(تخرج أم مستور تشيعها آسية إلى الباب) .

عبد التواب : **(يحدث نفسه متمتما)** كما تدين تدان ! الانتقام الإلٰهى !

آسية : **(تعود فتدنو من عبد التواب)** ما بالك يا أخى واجما ؟ ماذا بك ؟

عبد التواب : كوثر يا آسية ..

آسية : مالها ؟

عبد التواب : ليست بمريضة ..

آسية : أصدقت ما قاله عبد الجواد ؟

عبد التواب : لا بل ما قالت أم مستور .

آسية : ماذا قالت ؟

عبد التواب : إنها حبلى . !

آسية : حبلى !

عبد التواب : فى شهرها السابع ..

آسية : أقالت لك أم مستور هذه القولة ؟

عبد التواب : نعم يا آسية .

آسية : يا لعجوز السوء ! ويلها .. ما أجرأها على الكذب !

عبد التواب : ما يدريك يا آسية .. لعلها كانت صادقة .

آسية : كلا هذا محال .. هذا كذب .. هذا بهتان.نعم إن كوثر فتاة مدللة ولكنها من بيت كريم ، وأمها امرأة شديدة حازمة ، فمحال أن تقترف هذه الزلة ! لا يا عبد التواب لا تصدق هذه المرأة الشريرة .

عبد التواب : لكن القرائن تؤكد صدق هذا القول . ألا تريسن إلى ملازمتها الفراش وإلى تلك الأغطية الثقيلة لا يرفعونها عنها حتى فى هذا الحر الشديد ؟ .

آسية : ألم تقل أم مستور نفسها آنفا إن عرق النسا يتطلب فرط الدفء ؟

عبد التواب : كانت تريد أن تلمح لى بهذا الأمر ، فلما أعياها إفهامى إياه بطريق الإشارة أعلنته لى بصريح العبارة !

آسية : لا يا عبد التواب . حرام أن توصم امرأة بالعار من أجل أنها لزمت فراشها متدثرة !

عبد التواب: فما تقولين فى رفضهم الطبيب الذى أحضرته ؟

آسية : كثير من الناس يتحرجون من عرض حريمهم على الأطباء الذكور .

عبد التواب: وفيم امتنعوا من حملها إلى دارى لتمريضها عندى ؟

آسية : يا أخى إن هذا أمر عظيم لا يجوز لنا تصديقه بمثل هذه الشواهد المحتملة .

عبد التواب: وإذا ثبت غدا أن هذا حق ؟

آسية : إن ثبت — معاذ الله — أن هذا حق فلتطلقها ولا جناح عليك !

عبد التواب: (**يصمت هنيهة مطرقا**) ماذا يكون مصيرها يا آسية إن أنا طلقتها ؟ ماذا يقول الناس عنها ؟

آسية : لا شأن لك بمصيرها حينئذ . إنها ليست من بيتك فعارها لا يلحقك .

عبد التواب: بأى وجه تقابل الناس بعد ذلك ؟

آسية : هذا جزاء ذنبها هى فما ذنبك ؟

عبد التواب: ما يدريك ألا يكون هذا جزاء ذنبى ؟ إن لله لغضبات تدق علينا أسبابها يا آسية ؟

آسية : ويحك يا أخى .. أى ذنب لك فى هذا ؟

عبد التواب: ألم أرحل عنها وهى عروس وغبت عنها عاما ونصف عام ؟

آسية : ما أنت أول زوج دعته مصلحته للرحيل عن زوجته فرعت هي حرمته .

عبد التواب : وأمها وأبوها ماذا يكون مصيرهما ؟ أي ذنب جنياه عليّ فأدنس اسمهما في الناس ؟

آسية : عجبا لك يا أخي . تصدق زلتها من كلام أم مستور النمامة ثم تشفق عليها وعلى أهلها من عاقبة الزلة ؟

عبد التواب : (**يتنهد**) يا ليتني ما تزوجت يا آسية .. ما كان ينبغي لي أن أتزوج قط !

(يسمع قرع على الباب الخارجي من جهة اليمين) .

آسية : ترى من الطارق ؟

عبد التواب : (**ينهض**) ادخلي يا أختي .. لعل هذا قاسم المغربي قد جاء فإني منه على موعد ..

(يخرج من اليمين) .

آسية : يا ويح عبد التواب . أنّى له الصبر على هذا إن ظهر غدا أنه حق ! اللهم لطفك وسترك ! اللهم لا تفضحنا بذنوب غيرنا .

(تأخذ القدحين وتخرج)

(يدخل عبد التواب ومعه قاسم فيجلسان) .

قاسم : (**يتأمل في وجه عبد التواب**) ماذا بك يا عبد التواب اليوم ؟ هل تشكو شيئا ؟

عبد التواب : لا يا قاسم .. ما بي من شيء .

قاسم : إنى صديقك يا عبد التواب وأسير فضلك وإحسانك ، فلو بثثت لى شكواك لعلى أقدر أن أخفف عنك فأجزيك بعض حقك !

عبد التواب : شكرا لك يا قاسم .. ليس لدى غير الإشفاق على زوجتى العليلة فقد ساء حالها اليوم .

قاسم : يا ويحها .. ألم يهتدوا لها إلى علاج نافع ؟

عبد التواب : ما أحسب علتها مما يجدى فيه العلاج .

قاسم : لا تيتئس يا أخى .. هذا عرق النسا .. لا خطر منه ألبتة على صاحبه وإن كان ألمه بالغ الشدة .. إنى لأذكر أمى — رحمها الله — كانت قد أصيبت به وهى حبلى بأختى فوز ..

عبد التواب : (**فى ذهول**) حبلى !

قاسم : نعم .. كانت فى شهرها السابع فتظاهر عليها ثقل الحمل وشدة المرض حتى ظننا جميعا أنها لن تنجو من ذلك . ولكن الله لطف بها فما وضعت حملها حتى خفت عنها وطأة المرض كأنما كانا على ميعاد ، ثم ما كادت تتعلى من نفاسها حتى خرجت تمشى فى الطريق كأن لم يصبها شىء قط .

عبد التواب : (**يتمعر وجهه**) آأنت أيضا شامت بى يا قاسم ؟

قاسم : (**مستغربا**) أنا أشمت بك ! معاذ الله يا أخى .. أى شىء أخطر هذا ببالك ؟ والله إن همك لأشد علىّ من همى .

عبد التواب : علام إذن قصصت علىّ قصة أمك ؟

قاسم : إنى لا أرى فى قصتها ما يمكن أن يؤلمك . والله ما أردت بها إلا أن أسرى عنك وأقوى فيك الثقة بشفاء زوجتك .. ويحك يا عبد التواب أبعد ماغمرنى فضلك وراشتنى مروءتك تشك فى إخلاصى لك ؟

عبد التواب : اغفر لى يا قاسم فقد أثمت فى حقك .

قاسم : كل شيء يجوز فى الدنيا إلا أن يشمت قاسم بعبد التواب !

عبد التواب : صدقت يا أخى .. هب لى ما كان منى فقد ترى ما أنا فيه .

قاسم : لا تثريب عليك يا أخى فإنى أعرف عذرك . وحسبى أن قلبك لم يتغير علىّ .

عبد التواب : لن يتغير قلبى عليك أبدا يا قاسم .

قاسم : قسما بالله يا عبد التواب إن الموت لأهون عندى من ذلك .

عبد التواب : بيد أنى أخشى يا قاسم أن يتغير قلبك يوما علىّ !

قاسم : معاذ الله يا عبد التواب .. إننى إذن لخوان لئيم !

عبد التواب : حاش لله .. إنك لوفى كريم .

قاسم : (**بعد صمت قصير**) هل لى الساعة أن أكلمك فيما جئت من أجله ؟ أم ترى أن أؤجله إلى وقت آخر ؟

عبد التواب : بل كلمنى الساعة فإنى مصغ إليك .

قاسم : هل تأذن لى أن أمكث أسبوعا آخر فإنى ما فرغت من تجهيز أختى بعد ؟

عبد التواب : أفى هذا تستأذننى ؟ امكث عند أهلك ما شئت يا قاسم ولا

ترحل حتى تقضى لهم جميع شئونهم .

قاسم : لا يا عبد التواب لو مكثت حتى أقضى جميع شؤونهم لتعطلت تجارتنا بالشام ، ولكنني سأبقى حتى أزوج أختى فوز .

عبد التواب : لعلكم وجدتم لها الزوج الكفء .

قاسم : أحسبنى قد أخبرتك من قبل أننا سنزوجها لمستور !

عبد التواب : (**فاغرا فاه**) لمستور !!

قاسم : نعم .. إنه جندى مرجو الغد ..

عبد التواب : ألم تجد لأختك إلا هذا يا قاسم ؟ هلا تريثتم حتى تجدوا لها خيرا منه ؟

قاسم : عجبا يا عبد التواب .. قد حدثتك مرارا أننا سنزوجها لمستور . وكان آخرها يوم رحيلنا من الشام .. ألا تذكر ذلك يا عبد التواب ؟

عبد التواب : بلى يا قاسم ؟

قاسم : فما اعترضت على هذا إلا الساعة . خبرنى يا عبد التواب هل بلغك عن مستور سوء حين قدمت ؟

عبد التواب : لا يا قاسم .

قاسم : هل علمت عليه شيئا يعيبه عندك ؟

عبد التواب : لا .

قاسم : فما حملك على تنفيرى منه ؟

عبد التواب : لا أدرى يا قاسم ، بيد أن قلبى يحدثنى أن أختك لن

تسعد معه .

قاسم : إن الزواج يا عبد التواب قسم وحظوظ ، وحسب ولىّ الفتاة أن يختار لها من يصلح لها ولا عيب ظاهرا فيه . أما ما وراء ذلك فعلمه عند الله .

عبد التواب : إنى أخشى على أختك يا قاسم !

قاسم : ماذا تخشى عليها ؟

آسية : (**كأنما يقولها بدون وعى**) السلسلة !

قاسم : (**متعجبا**) السلسلة ؟ ماذا تعنى ؟

عبد التواب : (**كمن يعود إلى صوابه**) لا شىء يا قاسم لا شىء .

قاسم : إنك قلت السلسلة .

عبد التواب : هل قلتها ؟

قاسم : نعم .. سألتك ماذا تخشى على أختى فقلت السلسلة .. فماذا تعنى يا عبد التواب ؟

عبد التواب : أعنى .. أعنى سلسلة الشقاء التى تربط مصاير البشر على هذه الأرض .

قاسم : ما أحناك على صديقك وأشد اهتمامك بصلاح أمره ! هذه السلسلة من غيب الله يا عبد التواب لا يعلمها سواه .

عبد التواب : (**بصوت ضعيف**) صدقت يا قاسم ، ولكنى أود لو تزوجها لغيره .

قاسم : لا سبيل إلى ذلك يا عبد التواب ، فقد سبقت منى كلمة الوعد لأمه ولأخته غيداء رحمها الله ، فماذا تقول حماتى

عني إن أنا رفضت اليوم ما قبلت بالأمس ؟

عبد التواب : أوَقد دفع لكم مهرها ؟

قاسم : لا يا عبد التواب .. سأدفع المهر عنه من عندى .

عبد التواب : من عندك ؟

قاسم : نعم .. من أجل أخته غيداء يا عبد التواب

(يترقرق الدمع فى عينيه) .

عبد التواب : ما أشد وفاءك لزوجك يا قاسم !

قاسم : والله يا عبد التواب لو قضيت لها حق الوفاء ما عشت بعدها يوما .. إنك لا تعرف عنها ما أعرف يا عبد التواب ، وإلا لقل عندى ما ترى من حزنى عليها مهما جل .

عبد التواب : **(تتحادر دموعه)** أحسن الله عزاءك يا قاسم !

قاسم : ويحك .. تبكى من أجلى .. ويك ما بك !

عبد التواب : آه لو تعلم يا قاسم أن مصابى لمن بعض مصابك !

(يعتنقان باكيين) .

(ستار)

المشهد الثانى

(فى دار إسماعيل المرزوق ــ حجرة متوسطة ذات أثاث لا بأس به إلا أنه قديم . يرى فى الصدر سرير عريض منخفض ويرى فى الجانب الأيمن مقعد طويل ــ للحجرة بابان أحدهما (فى أقصى اليمين) يوصل إلى حجرة أخرى خاصة بإسماعيل ، والآخر (على اليسار) يؤدى إلى سائر الدار .)

(الوقت بعد غروب الشمس)

(ترى كوثر مضطجعة على السرير وفوقها الأغطية الثقيلة) .

كوثر : يا إلهى .. أما لهذا العذاب من آخر ؟ ليل يجيء وليل يروح وأنا ألازم هذا الفراش لا أبرحه خشية أن ترانى العيون ! (**تجهش بالبكاء**) لكن عين الله ترانى ولا يخفى عليها سرى مهما كثفت هذه الأغطية ! (**تلقى الأغطية عنها بقوة وغيظ فتنزل من على سريرها وتجلس على المقعد**) يا لهذا العار ينمو فى أحشائى كل يوم ! (**تضع يدها على بطنها**) ماذا صنعت أدوية أم جابر وأشربتها المرة ؟ لكأنها تطعمه وتسقيه لينمو ويشتد حتى يخرج يوما فيصيح بملء فيه :

اشهدوا يا عباد الله أن أمي قد فجرت !

(تدخل ميمونة)

ميمونة : ما جلوسك هنا يا كوثر ؟ عودى يا بنتي إلى فراشك !.

كوثر : لقد سئمت هذا الفراش يا أماه .. دعيني أسترح هنا قليلا فلن يجيئنا الساعة أحد .

ميمونة : ستجيء الآن أم جابر .

كوثر : ماذا صنعت لى هذه الدجالة ؟ لقد أفسدت كبدى بأشربتها المرة دون أن تجدى شيئا .. أبعديها يا أماه عنى .. لا أريدها بعد اليوم .

ميمونة : اصبرى قليلا يا بنتي .

كوثر : إلى متى أصبر ؟ لا يا أماه ما بقى لى صبر .. (**تبكى**) ارحمونى يا عباد الله ! ارحمونى .

ميمونة : إنى سأغلظ لها القول يا كوثر الليلة ، فإذا لم تعطنا دواء ناجعا فى الحال فسنتركها ونلتمس غيرها .

كوثر : أتنوين بعد يا أماه أن تأتينى بقابلة جديدة ؟

ميمونة : خفضى عليك ، ربما لا يحوجنا الله إليها يا بنتى .. هيا ارجعى إلى فراشك .

كوثر : أنا هنا فى الظلام يا أماه .

ميمونة : إنى سأوقد المصباح الساعة .

كوثر : لا توقديه يا أماه .. دعينى فى هذا الظلام .

ميمونة : كلا يا بنتى .. يجب أن ننفى عنا كل شبهة ! (**توقد**

المصباح) هيا يا كوثر قومى إلى فراشك .

كوثر : دعينى يا أماه فما أحد يرانى .

ميمونة : ربما يعود أبوك من الجامع بغتة فيراك .

(يسمع قرع على باب الدار)

ميمونة : هيا أسرعى إلى أغطيتك فإنا لا ندرى من الطـارق ! (**يخرج**) .

كوثر : (**تعود سريعا إلى سريرها وتتدثر بالأغطية**) أى مخلوق يصبر على هذه الحال ؟ عجل بموتى يا رب ولا تفضحنى فى الناس !

(تعود ميمونة ومعها أم مستور وأم جابر)

أم جابر : هل سقيتها الدواء الجديد يا ميمونة ؟

ميمونة : نعم و لم تظهر نتيجة !

أم جابر : (**تدنو من كوثر فتكشف الأغطية عنها وتجس بطنها ثم تعيد الأغطية عليها**) هذا دواء شديد .. سبحان الله .. كيف قوى هذا الجنين عليه ؟ (**تجلس على المقعد**) .

ميمونة : (**نافدة الصبر**) اسمعى يا أم ميسور .. أنت التى دلتنا على هذه القابلة ، وقد وضعنا فيها ثقتنا من أجلك ، ولقد طال علاجها بدون جدوى ، فإن كانت لا تقدر على شىء فلتصدقنا لنلتمس سواها !

أم جابر : إن كنتم لا تصبرون على علاجى فأعطونى أجرى المعلوم والتمسوا غيرى .

ميمونة : كلا .. لا نعطيك شيئا .. ماذا صنعت لنا ؟

أم جابر : قد اتفقنا على ذلك .

ميمونة : اتفقنا على أن تأخذيه حين يظهر الأثر المطلوب .

أم جابر : سيظهر عما قريب .

ميمونة : متى ؟ أحين تتم شهرها التاسع ؟

أم ميسور : اصبرى قليلا يا ميمونة !

ميمونة : كلا لا أصبر أطول مما صبرت .

أم جابر : فهاتى أجرى وخلاك ذم

ميمونة : لا أجر لك عندى .

أم جابر : ما من أحد يجرؤ على أن يأكل أجرى يا ميمونة ! تذكرى أن هذا السر لا ينبغى أن يعلم به أحد !

أم ميسور : لا بأس أن تصبرى قليلا بعد يا ميمونة . إنها ستعطيكم الليلة دواء آخر ..

ميمونة : (**بانكسار**) أين هو ؟

أم جابر : (**تناولها كيسا صغيرا**) أذيبى هذا فى الماء لتشربه الليلة عند النوم .

أم ميسور : سينفعها هذا بإذن الله .

(تنهض أم جابر لتنصرف)

ميمونة : ألا تلبثين قليلا يا أم جابر ؟

أم جابر : أعفينى .. عندى بيوت أخر تنتظرنى ..

ميمونة : هل نعطيها هذا القدر كله الليلة ؟

أم جابر : نعم أذيبيه كله فى قدح ماء وأسقيه لها .

(تخرج وتخرج خلفها ميمونة لتشيعها)

أم ميسور : **(تدنو من كوثر)** لا تبتئسى يا بنتى .. سيفيدك هذا الدواء الجديد إن شاء الله .

كوثر : **(تشيح بوجهها عنها ولا تجيب)** .. ؟

أم ميسور : ويحك يا بنتى أصبحت اليوم لا تطيقين رؤيتى . لا بارك الله فى مستور .. لو كنت أعلم أنكما ستأتيان هذا فى غيابى لحميتك منه !

(تعود ميمونة)

أم ميسور : إياك يا ميمونة أن تغضبى أم جابر ، إنها صارت تملك سرنا اليوم .

ميمونة : والله ما بلانا بها سواك . لو تركتنا من قبل نختار لنا قابلة أخرى لكنا قد تخلصنا منذ زمان .

أم ميسور : ما ذنبى يا ميمونة ؟ لقد تخيرتها لكم لما بلغنى من مهارتها فى هذا الفن .

ميمونة : فقد وضح أنها دجالة نصابة . وأنت كنت السبب ! لكأنما جئت بهذه لتعوقنا عن إجهاض كوثر حتى اليوم !

أم ميسور : **(مضطربة)** كلا يا ميمونة إنى لا أقبل منك هذا الاتهام ! ما ذنبى أنا فى ذلك ؟

ميمونة : **(محتدة)** ما ذنبك أنت ! ويلك .. هل نالنا كل هذا الشر إلا من قبلك ؟

أم ميسور : (**بصوت تتصنع فيه الحزن**) ماذنبى أنا يا مسلمون ؟ إننى امرأة منكوبة (**تبكى**) لقد نكبت أمس بوفاة ابنتى الوحيدة وهى أعز شىء عندى ، وهأنذا اليوم أنكب بطيش ابنى فتلقى تبعته علىّ وتنسب جريرته إلىّ ! (**تكفكف دمعها**) ألا تعلمين يا ميمونة أننى شريكتك فى هذا الهم الطويل وأننى أشفق على ابنى من هذا الأمر كما تشفقين على ابنتك .

ميمونة : هيهات يا أم مستور : أنا عندى الفريسة تتوجع وتتعذب ، وأنت عندك الجانى يرفل فى ثياب العرس وينعم ويطرب .

أم ميسور : لو عرفت يا ميمونة ما حل بمستور لرثيت لحاله . لقد أمروه اليوم بأن يتجهز للسفر مع الفرقة الذاهبة إلى ميدان القتال فى حلب . إنه سيفترق عن عروسه ولما يمض على زواجهما غير أسبوعين ! كأن الله أراد أن ينتقم لكوثر منه !

ميمونة : هذا قليل فى جنب ما فعل ! سينتقم الله منه أكثر من ذلك .

أم ميسور : ذلك ما أخشاه يا ميمونة .. أخشى أن يظهر هذا السر فيتغير علينا قلب قاسم ويقطع عنا بره ومعونته .. وربما سعى لتطليق أخته منه . إنك تعرفين صداقة قاسم لعبد التواب وإخلاصه فى حبه .

(**يسمع خفق نعال من الداخل**)

ميمونة : هذا إسماعيل قد جاء من صلاة العشاء .

أم ميسور : (**تنهض**) يا ويلى .. لقد تشعب بنا الحديث فأنسانى

موعد الانصراف . ثقى يا ميمونة أن سركم هذا هو سرى ، وما ينالكم من سوء ينالنى مثله . نسأل الله الستر والعافية (**تخرج وتخرج ميمونة لتشيعها**) .

إسماعيل : (**صوته من حجرته على اليمين**) ميمونة ! ميمونة ! كوثر !

كوثر : لبيك يا أبى ؟

إسماعيل : من ذا عندكم ؟

كوثر : لا أحد يا أبى .

إسماعيل : (**يدخل من اليمين**) أين أمك يا كوثر ؟

كوثر : فى الدار يا أبى .

إسماعيل : (**يدنو منها**) ويحك يا بنتى .. هل تحسين بوجع شديد ؟

كوثر : شديد جدا يا أبى .

إسماعيل : أين تحسين الوجع ؟ (**يلمس بيده الغطاء عند رجليها**)

كوثر : (**تصيح**) آه لا تلمسنى !

إسماعيل : هل آلمك هذا ؟ إنى ما لمست غير الغطاء .

(**تدخل ميمونة**)

ميمونة : ويلك يا رجل ! قلت لك مرارا لا تلمسها ولا تقترب منها ! إنها تتألم حتى من أيسر لمس .

إسماعيل : معذرة .. فقد نسيت (**يجلس على المقعد**) هلمى يا ميمونة ، عندى حديث هام لك .

ميمونة : (**تجلس إلى جانبه**) ماذا عندك ؟

إسماعيل : اتصل بى عبد التواب الليلة فى الجامع فانتبذ بى ناحية ، وأقسم لى ليحملن كوثر إلى داره الليلة سواء رضينا أو أبينا .

ميمونة : ومن ذا يطاوعه على ذلك ؟

إسماعيل : إنه قد أقسم يا ميمونة .

ميمونة : فليكفر عن يمينه إن شاء . أما أنا فوالله لا أتركه يحملها وهى بهذه الحال أبدا .

إسماعيل : لقد طال بها المرض عندنا ، فما ضر لو تتركينه ينقلها إلى داره لعل الله يمن عليها بالشفاء هناك .

ميمونة : ويلك .. أليس الله هنا هو الله هناك يا رجل ؟

إسماعيل : بلى ولكن لعل تغيير الدار ينفع صحتها . والله لا أدرى فيم هذا التشبث بإبقائها عندنا حتى أغضبنا زوجها علينا ؟

ميمونة : أوَقد صرت من رأيه ؟ ويلك أأردت أن تتخلص من ابنتك ؟ أين حبك لها وتدليلك ؟

إسماعيل : سبحان الله .. هذا زوجها يطلبها إلى داره فبأى حق نمنعها عنه ؟

ميمونة : ماذا يصنع بها وهى فى هذه الحال من المرض ؟

إسماعيل : إنه يريد أن يمرضها عنده .

ميمونة : كلا .. لا أستطيع أن أكل تمريضها إلى أحد .

إسماعيل : قال لى إنه لا بأس أن تقيمى أنت عنده وتساعدى على تمريضها إن شئت ، فداره واسعة .

ميمونة : كلا لا أقيم عند الناس وأترك دارى وزوجى .

إسماعيل : لا شأن لك بى .. سأتولى أمرى بنفسى .

ميمونة : ودارى كيف أتركها ؟ ماذا يقول الناس عنى ؟

كوثر : احملونى إليه واستريحوا وأريحونى من هذا العذاب !

ميمونة : اسكتى أنت يا كوثر . (**لزوجها**) أرأيت كيف أغضبت ابنتك !

إسماعيل : لعل الرجل يتهمنا بالتقصير فى علاجها إذ امتنعنا من إدخال الطبيب عليها . فهل لك أن تأذنى له بذلك لعله أن يقتنع ويكف عن المطالبة بحملها إليه .

ميمونة : معاذ الله هذا حرام .. حرام أن نكشف جسمها لرجل أجنبى .

إسماعيل : ويلك أنتركها تموت لئلا نكشف جسمها لرجل أجنبى ؟ إن الله لا يرضى بهذا .

ميمونة : ما علمك بأحكام الدين ؟ أنت جندى جاهل لا تعرف الحلال والحرام .

ميمونة : هأنذا قد أنذرتك . إن الرجل قد أقسم ليحملن زوجته إلى داره بالقوة !

كوثر : دعوه يا أمى يحملنى إلى داره .. دعوه يعلم كل شىء .. دعوه يعلم أننى ..

ميمونة : (**تسد فم كوثر بيدها**) اسكتى !

كوثر : (**تهب من فراشها بقوة**) كلا .. لا أسكت بعد اليوم ..

يجب أن يعلم أبي كل شيء ! يجب أن يعلم عبد التواب كل شيء .

ميمونة : (**تحاول إسكاتها**) كوثر !

كوثر : اعلم يا أبي أن ابنتك حبلى !

إسماعيل : ويلك ما تقولين !

كوثر : إي والله يا أبي لست مريضة ولكني حبلى ! (**تنزل عن فراشها**) اقتلني يا أبي وامح عاري عنك !

إسماعيل : أواه : لطالما استغربت هذا التدثر والتكتم . بيد أن أمرا كهذا لم يخطر لي ببال : (**يلتفت إلى ميمونة محتدا**) ويلك كيف كتمت عني هذا يا امرأة ؟

ميمونة : والله لولا خوفي أن ينطق به لسانك لبعض أصحـابك الشيوخ لأخبرتك .

إسماعيل : هذه تربيتك !

ميمونة : بل هذه عاقبة تدليلك . والله ما أفسدها غيرك !

إسماعيل : علام يا كوثر أتيت هذا ؟ بأي وجه ألقى الناس غدا ؟

كوثر : اقتلني يا أبي فما يستر عاري إلا القبر .

ميمونة : هذا قضاء الله قد وقع ولا سبيل إلى دفعه ، والله يأمرنا بالستر وينهانا عن الفضيحة .

أسماعيل : كيف السبيل إلى الستر وعبد التواب قادم إلينا الساعة ليحملها إلى داره ؟

ميمونة : اذهب إليه وقل له يؤجل حملها إلى داره بضعة أيام لعلنا نستطيع إجهاضها قبل ذلك .. سنلتمس قابلة أخرى غير

أم جابر .

إسماعيل : كلا لا أقدر أن أرى وجهه .. لا أقدر أن أرى وجه أحد ؟

(يسمع قرع على باب الدار)

إسماعيل : ويلي .. هذا عبد التواب لا محالة قد جاء .. ماذا نصنع الآن ؟ ماذا نقول له ؟

ميمونة : عودى يا كوثر إلى فراشك .. تدثرى بأغطيتك . لا شأن لكما به .. سأكلمه أنا بنفسى .

إسماعيل : ماذا أنت قائلة له ؟

ميمونة : سأقنعه بإبقائها عندنا بضعة أيام أخر .. هيا كوثر !

كوثر : أتريدون أن تغشوا الرجل ؟ قولوا له الحقيقة وليطلقنى فإنى لا أصلح له .. والله لأقولن له الحقيقة وليكن ما يكون !

ميمونة : (تجر كوثر إلى فراشها) استترى فى فراشك ويلك ! أتريدين أن تفضحينا ؟

كوثر : (تضطجع على سريرها وتتدثر) قولوا له الحقيقة والتمسوا منه الستر فإنه رجل كريم .

ميمونة : دعى هذا الأمر لى .. لا شأن لك . (يسمع قرع الباب أشد من الأول) قم افتح يا إسماعيل .

إسماعيل : لا يا ميمونة .. لا تحملنى رجلاى .. افتحى له أنت !

ميمونة : إياكما أن يظهر عليكما شيء .. لا تخافى .. سأسوى الأمر كله معه . (تخرج مهرولة)

(يتوجه إسماعيل نحو الباب ليخرج)

كوثر : (**متوسلة**) ابق هنا يا أبي .. لا تتركني وحدى ..
إسماعيل : أى نفع يا كوثر فى بقائى عندك ؟
كوثر : قل له الحقيقة يا أبي وليطلقني فإنى لا أصلح له ، وارجه أن يسترنى فإنه سيقبل رجاءك !

(تدخل ميمونة فتدنو من سرير كوثر وتسوى أغطيتها)

ميمونة : (**بصوت خافض**) قد جاء بأخته آسية معه .. ادخل حجرتك يا إسماعيل ..
إسماعيل : (**يتنفس الصعداء**) الحمد لله ! (**يخرج من اليمين**)
ميمونة : (**تتوجه نحو الباب الأيسر**) هلمى يا آسية ، هلم يا عبد التواب .

(تدخل آسية وعبد التواب)

آسية : (**تدنو من كوثر فتصافحها**) كيف أنت يا كوثر ؟ لعلك بخير ..
كوثر : (**يغلبها البكاء دون أن تحير جوابا**) ..؟
عبد التواب : لا تبتئسى يا كوثر .. سيزول غدا كل شيء .. (**يقبل رأسها**)
ميمونة : (**تشير لهما إلى المقعد**) مرحبا بكما .. هلما اجلسا .
عبد التواب : شكرا يا خالة .. ما هذا بوقت الزيارة ولا وقت الجلوس ، إنما جئنا لنأخذ كوثر معنا ألم يخبرك عمى إسماعيل بما قلت له ؟

ميمونة : (**تخفى اضطرابها**) بلى .. قد أخبرنى إسماعيل ، ولكن كوثر ما تزال مريضة ، وليس من الخير لها أن تنقل من دار إلى دار .

عبد التواب : قد طال بقاؤها عندكم وإن دارى لأولى من داركم .

ميمونة : كلا يا عبد التواب لا أستطيع أن أتركها تبرح دارنا وهى على هذه الحال .

عبد التواب : إنى والله لا أدرى ما خطبكم معى . إنكم لتتحرجون من رؤيتى إياها واقترابى منها كأنما أنا رجل غريب .

ميمونة : ماذا تريد أن ترى منها يا عبد التواب ؟

عبد التواب : أريد أن أرى موضع العلة !

ميمونة : أطبيب أنت !

عبد التواب : سبحان الله .. إنى زوجها وللزوج أن يرى من زوجته ما يريد .

آسية : لعل اللمس يؤلمها يا عبد التواب .

ميمونة : نعم .. إن أقل لمس يجعلها تصرخ من الألم .

عبد التواب : (**يقترب من كوثر**) اطمئنى يا خالة فإنى أرفق بها مما تظنين ..

ميمونة : (**مرتاعة**) لا يا عبد التواب لا تفعل .. إنك ستؤلمها .. ستجعلها لا تنام الليلة من الألم ..

كوثر : (**بصوت يخالطه البكاء**) دعيه يا أماه يعرف كل شيء ..

عبد التواب : أجل .. يجب أن أعرف كل شيء .

ميمونة : (**تحول بينه وبين كوثر**) كلا .. لا تمد إليها يدك .. لن أدعك تلمسها أبدا .. ابتعد عنها ..

عبد التواب : دعيني أعرف ما بها .. لا بد أن أعرف كل شيء .

ميمونة : (**تدفعه عن كوثر**) ! كلا !

كوثر : (**تكشف الأغطية عنها**) بل انظر يا عبد التواب ! إنى كما ترانى .. حبلى ! (**تنتحب**) .

ميمونة : (**تدع عبد التواب وشأنه.وتستر عينيها بيديها**) آه .. وافضيحتاه !

عبد التواب : (**يرنو إلى كوثر هنيهة وهو واجم يتمور وجهه بالحزن العميق ثم يتمتم**) إذن فقد كان كل ما خشيته حقا كله !

(**يتهاوى متقهقرا حتى ينطرح على المقعد**)

كوثر : (**بصوت يخنقه البكاء**) اقتلنى يا عبد التواب .. إننى أستحق القتل (**تنتحب**) .

عبد التواب : (**متمتما كالذاهل عما حوله**) السلسلة .. السلسلة .. السلسلة !

آسية : (**تدنو منه مواسية**) هون عليك يا عبد التواب .. هذا يا أخى مكتوب .. ماذا فى وسعك أن تصنع ؟ ما هـذا بذنبك !

ميمونة : (**مستعطفة**) سامحها يا بنى .. فإنها حديثة السن جاهلة !

عبد التواب : (**كالذاهل**) أسامحها ؟!

ميمونة : نعم .. سامحها واستر علينا .. ستر الله عليك !

عبد التواب : (**ماضيا فى شبه ذهول**) السلسلة .. السلسلة !

كوثر : إن لم تشأ أن تقتلنى فطلقنى .. طلقنى يا عبد التواب فإنى لا أصلح لك !

ميمونة : نعم يا بنى .. طلقها إن شئت .. ولكن استر فضيحتنا .. ستر الله عليك !

عبد التواب : (**كأنه يفيق من ذهوله**) كلا لن أطلقها يا خالة ..

ميمونة : (**جزعة**) فماذا تريد أن تصنع بها ؟ أتريد أن تفضحها فى الناس ؟ حنانيك يا عبد التواب استرنا .. استرنا .. إن الله يحب الستر .

عبد التواب : لن يعلم أحد سوانا بما وقع .. هى زوجتى أمام الله وأمام الناس . والجنين الذى فى بطنها ..

ميمونة : سنسقطه يا عبد التواب .. سنجتهد فى إسقاطه !

عبد التواب : كلا يا خالة .. إنه ولدى سآخذ كوثر الليلة معى وسوف تضع مولودها فى دارى .

ميمونة : (**بين الفرح والشك**) ماذا أسمع يا عبد التواب ؟ أحقا يا بنى أنك لن تطلقها ولن تفضحها .. ولن تمسها بسوء ؟

عبد التواب : قسما بالله العظيم يا خالة إنى لصادق فيما قلت (**يدنو من كوثر**) هيا يا حبيبتى استعدى الآن للذهاب إلى دارنا فإنها تنتظرك !

كوثر : (**باكية**) كلا يا عبد التواب .. إنى لا أصلح لك .

عبد التواب : إن كنت ترينني غير جدير بك يا كوثر ..

كوثر : بل أنت جدير بخير مني .. أنا يا عبد التواب غير جديرة بك !

عبد التواب : دعي عنك هذا يا كوثر .. إنك لا تعلمين مبلغ حبي لك وحناني عليك .

كوثر : أنا لا أستحق حبك وحنانك !

عبد التواب : لو لم تستحقيهما لما زرعهما الله في قلبي لك . لطالما اشتهيت يا كوثر قليلا من رضاك وعطفك .. وهأنذا أراهما اليوم يفيضان من عينيك فينزلان على قلبي بردا وسلاما .. فما أسعدني بك !

(يبسط ذراعيه لها)

كوثر : **(تعانقه باكية)** عبد التواب !

عبد التواب : **(يقبلها)** كوثر !

كوثر : ما أكرمك وأعظمك !

عبد التواب : أنت الليلة رائحة معي .

كوثر : أنت سيدي وأنا أمتك فمهما تأمرني فلك السمع والطاعة !

عبد التواب : بل أنت يا كوثر حبيبتي وزوجي .

ميمونة : ما أكرمكَ يا عبد التواب .. صانك الله يا عبد التواب !

إسماعيل : **(يسمع صوته من ناحية الباب الأيمن)** ما أكرمك يا عبد التواب .. هل لي أن أدخل فأقبل رأسك ؟

آسية : **(تأخذ بيد كوثر وتنهضها)** هلمي أهيئك يا كوثر وأساعدك في جمع متاعك **(تخرج بكوثر من الباب**

الأيسر)

(يدخل إسماعيل)

عبد التواب : (**يمد يده ليصافحه**) مرحبا بعمى إسماعيل !

إسماعيل : ما أنبلك يا بنى .. دعنى أقبل رأسك ويديك !

(**يهوى على يده يلثمها**)

عبد التواب : (**يسحب يده**) أستغفر الله يا عمى .

ميمونة : (**تهجم على يده فتلثمها**) نحن عبيد إحسانك يا عبد التواب !

عبد التواب : (**يسحب يده**) أستغفر الله يا خالتى .. هذا لا يجوز .

ميمونة : هذا والله قليل فى حقك !

إسماعيل : لقد سترت عرضنا .. ستر الله عرضك .

عبد التواب : والله ما سترت إلا عرضى فأى فضل لى فى هذا عليكم ؟

ميمونة : والله لأبوسن قدميك يا سيد الرجال ! (**تجثو على قدميه تلثمهما**) .

إسماعيل : وأنا والله لأبوسنهما (**يفعل مثل ميمونة**) .

عبد التواب : (**ينهضهما ويلثم رأسيهما**) أستغفر الله .. أستغفر الله هذا لا يجوز ! .

(ستار)

الفصل الثالث

بعد مرور سبع سنين من حوادث الفصل الثانى

المشهد الأول

فى منزل عبد التواب . نفس المنظر كما فى المشهد الأول من الفصل الأول .

(الوقت عند الزوال)

(يرى أسامة وشافعة داخلين إلى الحجرة يجريان ويلعبان فيها) . (تدخل صالحة)

صالحة : اخرجا من هنا يا شقيان .. لا تلعبا هنا .. اخرج يا أسامة .

أسامة : كلا لا أخرج .. سألعب هنا مع أختى .

صالحة : سأدعو لك أمك لتضربك .. هلمى معى يا شافعة .. اتركيه ستضربه أمك .

(تأخذ بيد شافعة لتخرج بها) .

أسامة : **(يجذب يد أخته من يد صالحة)** لا .. لا تخرجى يا شافعة ، ابقى هنا معى ..

صالحة : ويلك يا شقى ! (**تحاول أن تسحبه لتخرج به**)
أسامة : (**يركلها برجله ويصيح**) دعينى هنا ! (**ترسل يده**)
صالحة : تعالى يا شافعة .
شافعة : لا .. سأبقى هنا مع أسامة .
(**يتوجه الطفلان ناحية الأريكة فيثب أسامة فوقها ويقف على الوسائد متطاولا إلى الرف فيتناول حقا صغيرا من العاج**) .
صالحة : لا تلمس هذا .. رده إلى مكانه .
أسامة : (**ينزل من على الأريكة وبيده الحق**) لا .. هذا حقى .
صالحة : ستضربك أمك إن رأته فى يدك .
شافعة : (**تدنو منه**) أرنى هذا يا أسامة .
أسامة : (**يناوله لها**) إياك أن تأخذيه لك .
شافعة : هذا حقى .. أعطاه لى أبى أمس .
صالحة : هذا حُق الطيب .. ليس لك ولا لأخيك .
أسامة : رديه لى .
شافعة : لا .. هذا حُقى (**تحاول الفرار به**) .
أسامة : رديه لى (**يلحقها فيدفعها فيسقطها على الأرض وينتزع الحق منها**) .
شافعة : (**تنفجر صائحة**) أمى ! أمى ! (**تتلوى على الأرض وتحاول صالحة أن تحملها فتأبى**) أمى ! أمى ! (**تدخل كوثر**)

كوثر : ماذا بك يا شافعة ؟

شافعة : (**تصيح**) أسامة ضربنى وأوقعنى على الأرض !

كوثر : ويلك يا عفريت يا شقى (**تلطمه فى وجهه لطمة قوية**) .

أسامة : (**ينفجر باكيا**) عمتى ! عمتى !

كوثر : اسكت ويلك ! (**تلطمه ثانية**) .

أسامة : (**يتعالى صياحه**) عمتى ! عمتى ! (**يجرى نحو الباب**) .

كوثر : (**تنهض شافعة من الأرض**) قومى يا حبيبتى .. لا بأس عليك . (**تدخل آسية**) .

آسية : (**تقبل على أسامة**) مالك تبكى يا حبيبى ؟ هل أحد ضربك ؟

أسامة : (**يشير إلى أمه**) هذه ضربتنى .. هنا فى وجهى !

آسية : فيم يا كوثر ؟ حرام عليك !

كوثر : دعيه .. إنه يستاهل أكثر من هذا .. ضرب أخته شافعة وأوقعها على الأرض .

أسامة : كلا ما ضربتها ولا أوقعتها .

آسية : لا حق لك يا كوثر .

كوثر : هذا ولد كذاب .. سلى صالحة .

صالحة : نعم هو الذى أوقعها .

أسامة : كذابة !

كوثر : ويلك .. من أوقعها إذن ؟

أسامة : أخذت منى الحُق وراحت تجرى فوقعت !

آسية : أى حق ؟

أسامة : هذا الحق .

آسية : هذا حق أبيك .. هاته يا حبيبى نعيده فى مكانه .

شافعة : (**تصيح**) أريد الحق ! أريد الحق !

كوثر : (**تأخذ لها حقا آخر**) خذى هذا يا حبيبتى ...

أسامة : (**يتباكى**) أريد ذلك الحق يا عمتى .. أعطى هذا لشافعة .

كوثر : اسكت وإلا ضربتك !

آسية : لا تنهريه هكذا يا كوثر . تعال يا حبيبى .. سأعطيك مثله (**تأخذ من أحد الرفوف حقا أكبر فتعطيه له .**)

أسامة : (**ينظر إلى شافعة**) معى الآن حقان !

كوثر : هذا لا يصلح له التدليل يا آسية .. ليس له إلا الضرب .

أسامة : لا تقدرين على ضربى الآن .

كوثر : سأريك الآن يا شقى (**تهم بضربه**) .

أسامة : (**يلوذ بعمته**) عمتي ! عمتى !

آسية : لا تخف يا أسامة .. لن أدعهاتضربك . خذيهما يا صالحة ليلعبا فى الفناء .

صالحة : هلما معى ..

أسامة : (**يلتفت إلى شافعة**) هيا بنا يا أختى نلعب ..

شافعة : لا .. لا أريد أن ألعب معك .

أسامة : سألعب أنا وحدى ! (**يخرج**)

آسية : اخرجي معه يا صالحة .

صالحة : سمعا يا مولاتى (تتوجه نحو الباب) .

شافعة : وأنا يا أمى !

كوثر : خذيها معك يا صالحة .

صالحة : تعالى يا بنتى (تحملها فتخرج بها)

كوثر : إنك تدللينه كثيرا يا آسية .

آسية : وأنت تضربينه كثيرا يا كوثر .. حرام عليك !

كوثر : تحبانه أنت وعبد التواب أكثر من شافعة !

آسية : لا يا كوثر .. هما عندى فى منزلة واحدة .. أما أبوه فيحبه أكثر منها لأنه غلام والرجال دائما يفضلون الذكور على الإناث .

كوثر : إنما تفعلان ذلك من أجلى تطييبا لخاطرى ، وإن هذا التمييز منكما ليحزننى ويغم قلبى إذ يذكرنى دائما بزلتى .

آسية : ويحك يا كوثر .. دعى عنك هذه الوساوس ، فوالله ما يجول ذلك فى خاطرى ولا فى خاطر عبد التواب . والله ما ننظر إليه إلا كما ننظر إلى أخته شافعة ، فإن رأيت منا بعض الميل إلى إيثاره فلكى نعدل بينهما لما نرى من تحاملك عليه .

كوثر : (متأثرة) يا ليته مات ! إذن لا ستراح قلبى .

آسية : استغفرى الله يا كوثر .. كيف تتمنين موته وهو عزيز على أبيه ؟ حذار أن يسمع عبد التواب هذا منك .

كوثر : إنه مصدر شقائى وهمى .

آسية : ما ذنب الطفل المسكين يا كوثر ؟

كوثر : أجل .. ما ذنب الطفل المسكين ؟ إنه ذنبي ! (**تبكي**) .

آسية : ألم أنهك مرارا عن التفكير في هذا ؟ انسي هذا الخاطر جملة واحدة .. اعملي هذا من أجل زوجك عبد التواب فإنه يحبك ويحزنه ما يحزنك .

كوثر : حرام أن يتحمل عبد التواب تبعة جرمي وإثمي !

آسية : لا لا يا كوثر .. لقد أسرفت اليوم في ضلالك .. أما تعلمين يا أختي أن عبد التواب كان دائم الانقباض كثير الأرق فما عاد إلى بشاشته الأولى واطمئنانه إلا يوم ولدت له هذا الغلام الميمون ؟ إن كنت تحبينه يا كوثر فاطردي هذه الخواطر عنك ، فإني لا آمن أن يبصر أخي اكتئابك هذا فيعود له همه وأرقه . اصنعي هذا من أجلي فليس له في الدنيا غيره .

أسامة : (**يسمع صوته مقبلا من جهة اليمين**) أبي جاء ! أبي جاء !

آسية : امسحي دموعك يا كوثر .. لا تدري زوجك يرى أثرها في عينيك . ابتهجي يا أختي وكوني عاقلة . (**تمسح كوثر دموعها**) .

أسامة : (**يدخل منطلقا وهو يتوثب من الفرح**) أبي جاء يا عمتي .. أبي جاء !

آسية : أين هو يا حبيبي ؟

أسامة : لمحته من بعيد فجئت أجرى . سأفتح له الباب (**ينطلق من**

جهة اليمين فيخرج وهو يردد) أبي جاء ! أبي جاء !

آسية : أرأيت إلى ابنك .. ما أظرفه وأخف دمه !

كوثر : (يفتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة) ولد شقى !

(تدخل صالحة تحمل شافعة بين ذراعيها) .

صالحة : مولاى يا سيدتى قد جاء .

آسية : قد سبقك إلى إخبارنا أسامة .

صالحة : أين هو ؟ نط من حجرى وانطلق .

آسية : جرى ليفتح لأبيه .

(يدخل عبد التواب حاملا أسامة بين ذراعيه يضمه ويقبله)

أسامة : أنا فتحت لك يا أبى !

عبد التواب : نعم يا ولدى .. أنت خير من هؤلاء كلهم !

أسامة : لمحتك من بعيد (يمد كلمة بعيد) فجريت .

عبد التواب : (ضاحكا) لمحتنى من بعيد (يقلده فى مد هذه الكلمة) فجريت (ينزله إلى الأرض) ما أحلاك ! (يلتفت إلى شافعة) .. هل تعرفين أن تفتحى لأبيك (يأخذها من ذراع صالحة فيضمها ويقبلها)

شافعة : نعم يا أبى أعرف (يعيدها لصالحة) .

آسية : دعى الأولاد هنا يا صالحة واذهبى إلى المطبخ .

صالحة : (تنزل شافعة إلى الأرض) سمعا يا مولاتى (تخرج) .

أسامة : أين الهدية يا أبى التى وعدتنى بها اليوم ؟

كوثر : (**تحاول أن تجذبه**) تعال دعه أولا ليستريح .

أسامة : (**معرضا عنها**) أين الهدية يا أبى ؟ أنسيت ؟

عبد التواب: لا يا ولدى .. ما نسيت .. ها هى ذى (**يخرج من جيبه صفارة فيناولها له**)

أسامة : صفارة ؟ لا يا أبى .. لا أريد صفارة .. ماذا أصنع بها ؟ أريد سيفا يا أبى لماذا لم تأتنى بالسيف ؟

عبد التواب: (**يتغير وجهه قليلا**) ما وجدت لك اليوم سيفا .. سآتيك به غدا .

شافعة : وأنا يا أبى .. أين هديتى ؟

عبد التواب: (**يخرج من جيبه لعبة**) هذه لك يا بنتى .. انظرى .. إنها عروس جميلة .

شافعة : (**تحمل اللعبة**) انظرى يا أمى ماذا أعطانى أبى .

كوثر : (**تحتضنها**) يا لها من عروس حلوة .

أسامة : (**ينظر إلى اللعبة**) عريانة ليس عليها ثياب !

شافعة : (**عابسة**) عريانة يا أمى !

كوثر : سأصنع لها حلة من حرير ..

أسامة : غدا سيشترى لى أبى سيفا .

آسية : ألا تريد يا عبد التواب أن تنام قليلا قبل الغداء ؟

عبد التواب: نعم والله .. إنى لنعسان . (**يتوجه إلى اليمين فيخرج**)

أسامة : (**يريد أن يتبعه**) لا تنس السيف غدا يا أبى ..

كوثر : (**تجذبه**) تعال هنا !

أسامة : (**يقاومها**) دعيني ..

آسية : (**تأخذ بيده فى لطف**) أبوك ذاهب لينام .. تعال معى يا حبيبي أرنى الصفارة التى اشتراها لك أبوك .

أسامة : (**يسلمها الصفارة**) أنا لا أريد الصفارة .. أريد السيف .

آسية : (**تضحك لكوثر**) جندى مثل جده إسماعيل !

كوثر : (**يتغير وجهها**) شقى مثل ....

آسية : (**تقاطعها متجاهلة**) هذه صفارة جميلة يا أسامة (**تنفخ فيها**) انظر .. لها صوت حلو .

صالحة : (**تدخل**) سيدتى ميمونة يا مولاتى .

آسية : أهلا بها .. دعيها تدخل .. جدتكم يا أولاد .

الولدان : جدتى ! جدتى ! (**يخرجان منطلقين**) .

كوثر : (**متبرمة**) ما جاء بها فى مثل هذه الساعة ؟

آسية : ويك يا كوثر .. البيت بيتها .. تجىء فى أى وقت تشاء . هل نسيت أن أهلك لا يؤخرون الغداء مثلنا إلى قرب العصر .

كوثر : لكنها تعرف موعد غدائنا .

آسية : تعرف أن موعده لم يأزف بعد .. يا ليتها تتغدى معنا والله !

ميمونة : (**تدخل ومعها الولدان متعلقين بها**) كلا لا تهتموا بأمرى فإنى قد تغديت . لسنا مثلكم .. إن إسماعيل يحب

التبكير بالغداء .

آسية : (**تتبادل معها القبل**) مرحبا بك يا ميمونة .. أين أنت ؟ لم نرك منذ أيام .

ميمونة : (**تتبادل القبل مع كوثر**) هأنذى كل يوم عندكم . (**يجلسن**) .

ميمونة : ما كنت أنوى المجيء الساعة لولا الحادث المروع ..

آسية : أى حادث ؟

ميمونة : ألم يبلغكم ؟

صالحة : (**تدخل**) هل أطعم الأولاد يا سيدتى الآن ؟

كوثر : نعم خذيهم من عندنا الآن .

آسية : اذهبا يا ولدىّ لتطعمكما صالحة .

(**تخرج صالحة بالولدين**)

كوثر : ماذا حدث يا أماه .. أين ؟

ميمونة : عندنا فى الحى .

آسية : ماذا جرى يا ميمونة ؟

ميمونة : (**متلعثمة**) أم مستور ..

آسية وكوثر: أم مستور !!!

ميمونة : نعم .. ابنها قتل امرأته !

آسية : يا للخبر الأسود ! متى كان هذا ؟

ميمونة : الساعة .. وقد هرع الناس إلى دارها من كل مكان فاكتظ الحى بهم ، وما تفرقوا إلا حين جاء شرطة الأمير فساقوا

الجانى معهم إلى السجن .

آسية : يا إلهى .. لماذا قتل المجنون امرأته ؟

ميمونة : سمعتهم يقولون إنه وجدها حبلى فذبحها .

آسية : يا ستار يارب ! .. لكن ابنها هذا كان غائبا فى جيش الأمير .

ميمونة : نعم .. ما قدم إلا اليوم من الشام ، والله ما عز علىّ إلا مقتل العروس الشابة .

آسية : أجل .. يا ويح قاسم المغربى .. ماذا يكون حاله إذا بلغه مقتل أخته على هذه الصورة ؟ وأخى عبد التواب سيتألم كثيرا لهذا الحادث .. إنه شديد الحب والإعزاز لشريكه قاسم .

ميمونة : وأين عبد التواب ألم يبلغه هذا الخبر ؟

آسية : لا .. لم يبلغه بعد .. إنه جاء من الدكان آنفا لينام القيلولة . والله إنى لأخشى أن يحدث له هذا النبأ أمرا لا نرضاه (**تنهض**) سأرى إن كان قد استيقظ لأتلطف فى إبلاغ النبأ إليه (**تخرج**) .

ميمونة : (**بصوت خافض**) افرحى يا كوثر ، فها قد انتقم الله لك من الجانى الأثيم .. جزاء عادل وانتقام بالغ يشفى الغليل !

كوثر : (**متأففة**) أقصرى يا أماه فما هذا بموضع للشماتة .

ميمونة : لم لا يا بنتى ؟ لقد سقاه الله كأسا سقانا بمثلها من قبل .

كوثر : إن جاز لنا أن نشمت بالجانى فماذا جنت فوز علينا وماذا

جنى أخوها قاسم المغربى فيستحقا منا الشماتة ؟

ميمونة : كل امرىء ذنبه فى جنبه .

كوثر : هذا قضاء الله يا أماه .. لعل المسكينة استدرجت فزلت . اتقى الله فى الناس واسأليه دوام الستر . (**تدخل آسية**) .

ميمونة : ماذا فعلت يا آسية .. هل أخبرته ؟

آسية : لا إنى وجدته نائما يغط فلم أشأ أن أزعجه .

ميمونة : خيرا صنعت يا آسية .. دعيه يستريح .

آسية : (**تجلس**) يا لها من حادثة مروعة !

ميمونة : أجل .. اهتز لها الحى بأكمله ، وستهتز لها المدينة وتكون حديث الناس .

آسية : ترى ماذا فعلت أم مستور ؟

ميمونة : رأيناها تجرى فى الشارع جائية ذاهبة وهى تلطم وتصيح « اتركوا لى ولدى ! ردوا لى ولدى ! » حتى غابت خلف موكب الشرطة .

آسية : أستغفر الله العظيم .. لا أدرى لماذا لا يقبل قلبى هذه العجوز المنكوبة ولا يرق لحالها أبدا . يخيل إلى أنها شؤم على كل من يعرفها أو يتصل بها . ما رأيتها مرة قط إلا أنذرنى قلبى بشر !

ميمونة : إى والله إنها لامرأة شؤم .

آسية : تزوج قاسم المغربى ابنتها فنكب بالإفلاس والسجن ثم نكب بوفاة زوجته ..

ميمونة : وتزوج ابنها أخت قاسم فقتلها هذه القتلة المنكرة .

آسية : وما أذكر أن عبد التواب لقيها قط إلا انقبض صدره واغتم على الأثر . والله لطالما أردت أن أمنعها من دخول دارنا لولا أن أخي يعطف عليها ويرثى لمصابها فهو عطوف رقيق القلب . ثم هى بعد لا تنظر إلينا إلا بعين فيها الحقد والحسد !

ميمونة : صدق القائل : اتق شر من أحسنت إليه .

(تسمع جلبة عظيمة من الداخل) .

آسية : يا ويلى .. ما هذا ؟

كوثر : هذا عندنا فى الدار (**تنهض لتخرج**) .

صوت : (**يتصخب**) أين عبد التواب ؟ أين غريمى عبد التواب ؟

صالحة : (**صوتها**) انتظرى حتى أقول لمولاتى !

الصوت : دعينى يا فاعلة ! تنحى عن طريقى !

كوثر : (**ترتد مرتجفة**) يا ويلتا .. هذه أم مستور !

(تنهض آسية وميمونة مرتاعتين) .

آسية : ويلى .. ما جاء بها ؟ ماذا تريد ؟

الصوت : أين المجرم ؟ أين عبد التواب ؟

(تدخل أم مستور فى هيئة شعثه وخلفها صالحة وخلف صالحة الطفلان مدهوشين) .

أم مستور : أين أخوك عبد التواب ؟ (**لكوثر**) أين زوجك ؟ (**لميمونة**) أين زوج ابنتك ؟ .. مالكن صامتات ؟ أين

هو ؟ أين المجرم ؟

آسية : (**تتقدم إليها متشجعة**) املكى نفسك يا أم مستور .. هذا قضاء الله .. تجلدى .. يحسن الله عزاءك ؟

ميمونة : نعم يا أم مستور .. إنا نعزيك فى مصابك .. ألهمك الله الصبر والعزاء .

أم مستور : (**مزمجرة**) ويلكما .. أى عزاء ؟ ابنتى ثم ابنى ! ابنتى أمس ثم ابنى اليوم ! .. كل يوم نكبة جديدة ! عبد التواب هو السبب ! أين عبد التواب ؟ أين غريمى ؟

آسية : (**محتدة**) ويلك يا هذه .. ما ذنب عبد التواب ؟ أهذا جزاء مساعدته لك وعطفه عليك ؟

أم مستور : والله لو أعطانى ملء الأرض ذهبا ما سامحته ولا عفوت عنه .

آسية : ماذا جنى عبد التواب ؟ ماذا فعل بك ؟ ماذا يحوجه إلى عفوك ومغفرتك ؟

أم مستور : هو السبب فى كل ما نزل بى من مصيبة .. والله ما نكبنى سواه .. حسبيه الله ! حسبيه الله ! خبرينى أين هو ؟

آسية : ويلك ماذا تريدين منه ؟

أم مستور : (**تلتفت خلفها فتلمح أسامة**) هذا ولدى ! هذا ولدى .. ردوه لى ..

آسية : (**لكوثر بصوت خافض**) اذهبى يا كوثر فأيقظى زوجك . أسرعى !

(**تخرج كوثر متعثرة**) .

صالحة : (**تضم الطفل إليها**) يا لك من مجنونة .. هذا ابن مولاى عبد التواب . انظرى يا هذه أين أضعت ولدك ؟

أم مستور : (**تريد أن تهجم عليه**) بل هذا ولدى .. دعونى آخذه معى إلى دارى .. والله لا أتركه لكم .. أنا أولى به منكم . أنا جدته .. أنا جدته !

صالحة : كذبت .. جدته سيدتى ميمونة ؟

أم مستور : هذه أم أمه يا بلهاء وأنا أم أبيه .

صالحة : أم أبيه ! هاقد تبين الآن كذبك ! إن أم أبيه قد ماتت منذ زمان بعيد وأنت لا تزالين حية !

أم مستور : حية تلدغك يا غبية ! هاتى ولدى !

آسية : اهربى به منها يا صالحة !

صالحة : علام يا مولاتى .. والله لا أدعها تدنو منه .. والله لئن أذنت لى لأقضقضن عظام هذه العجوز المجنونة ! (**تشمر عن ساعديها**) .

أم مستور : اخرسى يا فاعلة ! هاتى ولدى .. أعطينى ولدى .. تعال يا أسامة .. أنا جدتك .

أسامة : (**مستندا إلى صالحة**) ملعون أبو أمك !

آسية : اخرجى به يا صالحة ! (**تخرج صالحة بأسامة وشافعة**) .

أم مستور : (**فى رقة**) يشتمنى ولدى ! لا لوم عليه .. لا يعرف أنى جدته .. غدا يعرف ! (**تقف منكسرة**) .

آسية : اذكرى ربك يا أم مستور واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم .

(يدخل عبد التواب وخلفه كوثر)

أم مستور : ها هو ذا الشيطان الرجيم ! ها هو ذا الجانى الأثيم ! هلم يا هذا أحاسبك على سوء عملك !

عبد التواب : **(يقبل عليها)** خفضى عليك يا أم مستور .. والله لقد آلمني هذا المصاب الجديد .. والله ما علمت به إلا الساعة .. فلا حول ولا قوة إلا بالله .

أم مستور : ويلك يا مجرم .. هذا المصاب الجديد من ذلك المصاب القديم ! أنت السبب فى كل ما أصابنى من النكبات ! أخربت بيتى .. أخرب الله بيتك !

عبد التواب : املكى عليك نفسك .. هل نسيت يا أم مستور أن قاسما صديقى فالنكبة نكبتى !

أم مستور : صديقك ! لا تستحى أن تدعوه صديقك وقد خنته فى أغلى شىء عنده ! آه لو يعلم قاسم بخيانتك !

آسية : ماذا تقولين يا عجوز السوء ؟ أتريدين أن تلصقى بأخى عبد التواب فضيحة امرأة ابنك ؟ ابحثى عن صاحبها فاذهبى إليه .

أم مستور : **(تتمتم)** يا ليتها هذه إذن لكانت أهون !

عبد التواب : لا جناح عليها .. إن هول المصاب قد أطار صوابها .. اذهبن أنتن إلى الجناح الآخر واتركننى هنا وأم مستور لعلى

أعزيها وأواسيها .

أم مستور : ويلك .. أخشيت أن يعلمن بجريمتك ؟ أتظنني أسترها عليك بعد اليوم ؟ لا والله لا أتركك تعيش هكذا منعما مع زوجك وأولادك وابنتي في القبر وابني في السجن !

(تخرج النسوة الثلاث متعثرات في مشيهن)

عبد التواب : (بصوت خافض) ويلك يا أم مستور أتريدين أن تفضحي سر ابنتك المسكينة ؟

أم مستور : دعه ينفضح ! دع الناس يعلموا به أجمعين ..

عبد التواب : صه .. اخفضي صوتك فستندمين على هذا .

أم مستور : لا والله لا أبالي .. لأعلنن نذالتك وخيانتك لعرض صديقك ، ولأشهرن فضيحة زوجتك وتسترك عليها دياثة منك وقلة غيرة . بيض الله وجه مستور ابني .. ما كان ديوثا مثلك .. وجد امرأته حبلى فذبحها ومسح بدمها عاره وما بالى بشيء في سبيل الشرف .. أنت يا ديوث سبب نكباتي كلها !

عبد التواب : سامحك الله يا أم مستور .. بربك أصغي قليلا إليّ . ليس من خيرك ولا من خير ابنك أن تعلني ما ستر الله وأمر بستره . اصنعي هذا من أجل ابنك .

أم مستور : قد قضوا عليه بالحبس والتغريب .

عبد التواب : سينقضي أجل الحبس والتغريب .. اصنعي ذلك أيضا من أجل قاسم فإنه يعزك ويحنو عليك .

أم مستور : ماذا يصنع لى قاسم بعد اليوم ؟ إنه سيقطع عنى — لا محالة — بره ونفقته بعد ما قتل ابنى أخته . لقد حرمتنى يا ديوث كل شيء . سيبلغه الخبر بالشام وشيكا فيقطع عنى صلته . لقد فقدت كل عائل لى . من ذا يعولنى بعد مستور وقاسم ؟

عبد التواب : لا تبتئسى . سأكون أنا عائلك وسأجرى عليك مثل ما يصلك منهما معا . سامحينى يا أم مستور . هذا قضاء الله المكتوب .. هذه سلسلة الخطيئة انتظمتنا جميعا ولا يقطعها إلا الغفران .. اغفرى لى يا أم مستور كيما تنقطع السلسلة !

أم مستور : (**تطرق قليلا**) أجل .. لا ينبغى للألسن أن تلوك عرض غيداء وهى فى جوف القبر . ولكننى سأنتقم منك وحدك .. سأخبر قاسم شريكك .

عبد التواب : ويحك يا أم مستور . هذا أشد على غيداء وأبلغ فى إيذائها من ذاك . أتريدين أن تفسدى فيها عقيدة قاسم ؟ إنه يبكيها ويترحم عليها .. أفتريدين أن تدعيه يلعنها ويلعن ذكراها إلى الأبد ؟

أم مستور : (**تهدأ قليلا ثم تثور مرة أخرى**) كل هذا منك ! لأخربن بيتك كما خربت بيتى .. لأشهرن زوجتك كوثر ! لأعلنن فضيحتها فى الناس !

(**تسمع حركة عند الباب الأيسر**) .

عبد التواب : هذا حس قادم .. اخفضي صوتك !

أم مستور : لا والله لا أخفض صوتى .. لأطلقنها مدوية !

عبد الجواد : (**يسمع صوته**) دعينى يا هذه أدخل !

آسية : (**صوتها**) كلا يا عبد الجواد .. لقد أمرنا ألا تدخل عليه .. عنده أم مستور .

عبد التواب : هذا أخى عبد الجواد .. حذار أن تقولى شيئا أمامه .

أم مستور : دعه يدخل ... والله لأخبرنه !

آسية : (**صوتها**) إياك أن تدخل !

عبد الجواد : (**صوته**) إنهما يتشاجران .. لابد أن أحول بينهما (**يدخل عبد الجواد**) .

أم مستور : هأنتذا جئت يا عبد الجواد .. اعلم أن أسامة هذا الذى عند أخيك ليس من صلبه .. إنه ابن زنا !

عبد الجواد : ويلك ما تقولين ؟

أم مستور : إنى أعرف أباه الذى ارتكب الفاحشة مع أمه ! إن كان عندك ذرة من النخوة والشرف فلتثر على فعل أخيك ، واستلحاقه ولدا ليس من نطفته ، وإدخالـه فى نسبك ونسب آبائك !

عبد الجواد : (**يظهر فى وجهه بصيص من الارتياح**) ما بينتك يا هذه ! ألا تعلمين أن هذا قول عظيم !

أم مستور : أى بينة تريد ؟ ألا تذكر أن كوثر هذه كانت مهاجرة له حين أعرس بها ، فرحل إلى الشام وهى عذراء لم تمس ، ثم

رجع إليها بعد قرابة عامين ليجدها حبلى ؟

عبد التواب : اتقى الله يا أم مستور ..

أم مستور : اسكت .. دعنى أتم كلامى . قالوا عند ذلك إنها مريضة بعرق النسا .. ألا تذكر يا عبد الجواد مرضها بعرق النسا ؟ ذاك والله عرق الزنا لا عرق النسا . لقد وضعت بعد ذلك بشهر واحد . فقل لى بالله متى أحبلها أخوك ؟ هل بعث بنطفته إليها مع ريح الصبا من الشام ؟

عبد الجواد : اتقى الله يا أم مستور .. إن الجنين قد يمكث عامين فى بطن الحامل !

أم مستور : ويحك .. إننى أعرف أباه وأعرف المكان الذى كان يختلى بها فيه !

عبد الجواد : من هو ؟

عبد التواب : ويحك يا أخى .. كيف تسائلها وتصغى إليها ؟ أعرض عنها . هذه امرأة قد جنت من هول المصيبة فهى تهذى بما لا تعقل ؟

أم مستور : كلا .. ما أنا بمجنونة ولا هاذية .. إننى أعقل ما أقول .

عبد الجواد : تزعمين أنك تعرفين صاحبها فمن هو ؟

أم مستور : ابنى مستور !

عبد الجواد : ابنك مستور ! هذا لا يعقل !

أم مستور : انظر إلى وجه الغلام .. هل تراه يشبه أخاك أم يشبه ابنى ؟

عبد الجواد : كلا يا أم مستور .. إن الشبه لا ينفى البنوة ولا يثبتها ..

ولو كان ما تقولينه حقا لما رضى أخى بهذا .. حاشا لأخى عبد التواب أن يرتضى هذا المنكر .

أم مستور : لعل أهلها سحروه .. لعلهم عملوا له سحرا فارتضى هذه الدياثة وسكت عليها هو وأخته آسية !

عبد الجواد : (**يطرق هنيهة ثم يرفع رأسه كأنما خطر له خاطر سار**) إنى ما زلت فى شك من صدق حديثك يا أم مستور ، فهل لك أن تخبرينى أين كان يلقاها ابنك مستور ؟

أم مستور : كان يلقاها فى دارى !

عبد الجواد : هذا غير معقول . لو كان يلقاها فى دارك لتم ذلك على علمك وفى مشهد منك .

أم مستور : فقد تم ذلك على علمى وفى مشهد منى .. فهل اقتنعت ؟

عبد الجواد : (**يغير لهجته ونظرته فيقول مهددا**) احفظى هذا السر يا أم مستور ولا تحدثى أحدا به ، فوالله لئن بلغ السلطان أمرك هذا ليأخذنك بجريرة ابنك وليوقعن بك عقوبة القوادات ، إن أميرنا أحمد لشديد الوطأة على العجائز والقوادات ، فحذار أن تتهمى بأنك كنت تقودينها لابنك الفاجر كما تقودين غيرها لغيره !

أم مستور : كلا لست قوادة .

عبد الجواد : لن ينفعك حينئذ دفاعك . إن الأمير ليأخذ القوادات بمحض الشبهة والظنة .

أم مستور : أليسوا يقتلونهن ؟

عبد الجواد : بلى .

أم مستور : فدعهم يقتلونى .. لا أرب لى فى العيش بعد أن ماتت ابنتى وقضوا على ابني بالحبس والنفى .

عبد الجواد : ويحك .. إن كان ابنك يعز عليك فما أحراك بكتمان هذا السر لئلا يضاعف عقابه وتضاعف مدة حبسه ونفيه إذا ثبت عليه أنه ارتكب جرما شنيعا آخر من قبل . ها أنذا قد نصحتك وأنذرتك . إننى كاتب فى ديوان القضايا كما تعلمين ، فإن أبيت إلا الإضرار بأخى عبد التواب فسأشهد عليك بما قلت وأقودك إلى المحكمة !

أم مستور : (**تطرق قليلا**) حسبى الله منك يا عبد التواب .. الله ينتقم لى منك !

عبد الجواد : انصرفى الآن إلى بيتك وثقى أننى سأبذل وسعى فى خدمتك .

أم مستور : ماذا تقدر أن تصنع لى ؟

عبد الجواد : إن أميرنا لا يقبل الشفاعات فى الحدود ، ولكنى سأسعى جهدى ليخففوا من عقوبة ابنك من أجل والدته العجوز التى لا عائل لها سواه .

أم مستور : (**تنهض**) شكر الله سعيك يا عبد الجواد .

عبد الجواد : (**مزهوا**) أرأيت يا أخى كيف صرفتها ودفعت شرها عنك .

عبد التواب : أجل لقد دفعت عنى شرا عظيما .

عبد الجواد : فاسمع الآن نصيحتى لك .

عبد التواب : قلها يا أخى فإنى مصغ إليك .

عبد الجواد : طلق زوجتك وتبرأ من طفلها الدعى .

عبد التواب : (يثور غاضبا) ويلك ما أنت وذاك ؟!

عبد الجواد : أو ليس هذا صحيحا ؟

عبد التواب : هبه كذلك فما شأنك أنت بزوجتى وما تداخلك فى خويصة أمرى ؟!

عبد الجواد : هذا نسبى ، وعلىّ أن أحميه من دخول هذا الدعى فيه .

عبد التواب : (محتدا) اخرج من عندى ويلك أن يغرينى الشيطان بك !

عبد الجواد : أتهددنى ؟

عبد التواب : نعم !

(تدخل آسية)

آسية : (لعبد الجواد) قد سمعت قولك وعرفت قصدك يا قاطع الرحم يا معرة الآل يا صل الرمال !

عبد الجواد : أنت أيضا لا تبالين أن يدخل فى نسبنا شخص دعى !

آسية : والله ما بك حماية الشرف ولا حماية النسب ، وإنك لتبيع شرفك بدانق تضيفه إلى ما كنزت من مالك أيها الشحيح الجشع ، وإنما فكرت فى ميراث أخيك وهو حى بعد ، فعز عليك أن يحجبك أسامة منه ، فأتيت ما أتيت . ولكن الله سيخزيك وسيجزيك بسوء قصدك وشر عملك !

عبد الجواد : ويلك هذا ليس ابنه بل هو دعى .

آسية : هبه كما تقول فإن كوثر اليوم حبلى وستلد ابنا آخر ، فماذا تقول فيه أيها الجشع الطماع ؟ ألا تتقى الله يا رجل ؟ ألا تستحى أن تعد الأيام انتظارا لوفاة أخيك الشاب وأنت شيخ كبير فى آخر عمرك ؟ ما يدريك أنك لا تموت قبله ؟

عبد الجواد : كذبت يا أخت السوء ، إنى إنما ابتغيت حفظ النسب ، وأشفقت على أخى عبد التواب من هذه التبعة العظيمة عند الله يوم القيامة ، فقد ورد عن النبى ﷺ فى ذلك نهى عظيم ووعيد شديد .

آسية : ألا تتقى الله أنت يا رجل قبل أن تأمر غيرك بتقوى الله ؟ أتظن أن الله يرضى عنك ولا يرضى عن أخيك وهو واصل الأرحام وكافل الأيتام ومغيث المحتاجين ومقيل العاثرين ؟ إذا لم تستح فاصنع ما شئت !

عبد الجواد : إن من حقى أن أرفع هذا الأمر إلى القاضى وأطالب بحقى فى حماية نسبى .

آسية : افعل ما شئت ، فوالله لا تنال من وراء ذلك شيئا وستخسر كل شىء . ألغ ما جعلت له فى وصيتك يا عبد التواب فإن هذا لا يستحق أن توصى له بشىء .

عبد الجواد : (يلين لهجته) أوَقد أوصيت لى بشىء يا أخى ؟ لماذا لم تخبرنى ؟

عبد التواب : ويحك يا أخى .. إن الوصية سر لا ينبغى أن يذاع .

عبد الجواد : ليت شعرى بكم أوصيت لى .. لعلك ما نسيت أننى معيل محتاج وأنه لولا ابنك أسامة هذا لكنت عصبتك .

عبد التواب : أوصيت لك بسدس مالى .

عبد الجواد : بسدس مالك كله .. أليس كذلك ؟

عبد التواب : نعم .. فهل أرضاك ؟

عبد الجواد : هذا لا بأس به إن لم تبدد مالك قبل موتك فى الإنفاق على الأجانب والأباعد . لقد أحسنت يا أخى إذ كتبت وصيتك فإن المرء لا يدرى متى يوافيه الأجل والأجل لا ينتظر . والله لولا أنك فى غنى عنى وأن أولادى كثيرون محتاجون لأوصيت لك ، ولكن الله أغناك ولم يغننى غنك .

آسية : إن أخاك عبد التواب لا يريد منك إلا أن ترعى حرمته .

عبد الجواد : ثق يا أخى أننى سأحفظ سرك وأرعى حرمتك فى حياتك وبعد مماتك . أنشدك الله يا أخى إلا غفرت لى ما سمعت اليوم منى وعددته كأن لم يكن .

عبد التواب : يغفر الله لك يا أخى .. ما كان أغناك عن إيذائى فى أهلى وولدى !

عبد الجواد : (ينهض) لن تسمع فيهم منى ما تكره أبدا .

عبد التواب : ألا تشهد الغداء معنا اليوم ؟

عبد الجواد : لا وأشكرك .. لا ينبغى لى أن أطعم خيرا مما يطعمه أهلى وأولادى ! ولكنى سآتى بهم يوما إليك فنطعم جميعا

عندك .

عبد التواب : افعل يا أخى وليكن ذلك فى يوم قريب .

عبد الجواد : قريبا إن شاء الله .. غدا أو بعد غد .

(يخرج ويخرج معه عبد التواب يشيعه) .

آسية : يا ويح عبد التواب .. لشد ما يلقى فى الحياة من عناء! أعانه الله .. أعانه الله !

(يعود عبد التواب فيتداعى وينطرح على الأريكة)

عبد التواب : ويحك يا أختى .. لقد لقيت اليوم فى سبيلى نصبا !

آسية : والله يا أخى ما أشفق من هذا النصب إلا عليك .. لعنة الله على أم مستور .. لا تأتى هذه المشئومة إلى دارنا إلا بكارثة !

عبد التواب : انظرى ماذا فعلت كوثر فإنى لأشفق عليها اليوم مما سمعت .

آسية : من حسن الحظ أن أمها اليوم عندنا .. سأرى ماذا فعلت **(تخرج)** .

عبد التواب : **(يزفر زفرة حرى)** آه ! آه ! السلسلة ! السلسلة ! **(تغرورق عيناه بالدمع)** يا إلهى إلام يمضى بنا هذا الحال ؟ إلام تطرد هذه السلسلة ؟ أتراك يا ربى تأخذنى بأوزار هذه الخطايا كلها ؟ هأنذا يا ربى قد غفرت للذين أساءوا إلىّ وسامحتهم جميعا فألهمهم اللهم أن يغفروا لى ويسامحونى ! اللهم اغفر لى ولهم إنك غفور رحيم

(**يصمت قليلا ثم يعود إلى ابتهاله**) اللهم إن كنت كتبت في لوح قضائك أن ذيول خطيئتي ستمتد ما امتد بي أجلي فاقبض اللهم روحي إليك وارحمني !

(**تدخل آسية وميمونة وبينهما كوثر وهي متداعية باكية**)

عبد التواب : ويحك يا حبيبتي .. ماذا يبكيك ؟

كوثر : (**تجثو على ركبتيها أمام عبد التواب**) طلقني يا عبد التواب فإني لا أصلح لك . إني امرأة خاطئة مذنبة ؟

عبد التواب : (**ينهضها ويضمها إلى صدره**) ويحك يا حبيبتي ما يحملك على هذا ؟ ألست تحبينني يا كوثر ؟

كوثر : (**باكية**) نفسي فداؤك يا عبد التواب ، ولكني لا أستحق أن أكون زوجك وقد كان مني ما كان .

عبد التواب : دعي عنك هذا يا كوثر ، إن الله قد غفر لك ورحمني بك ، لقد كنت شقيا مسهد العين وقيذ الجوانح حتى رضيت عني ليلة حملتك من دار أهلك إلى داري ، فامتلأ قلبي منذ تلك الليلة سرورا وزال همي وغمي ودبت السعادة في بيتي ونعمت بك وبأولادي منك ، فكيف تريدين الليلة أن تحرميني أنسي بقربك وسعادتي بحبك ؟!

كوثر : قد سمعت من أم مستور اليوم ما سمعت وعرفت ذلك الذي ..

عبد التواب : (**مقاطعا**) قد عرفته من قبل يا كوثر .

كوثر : عرفته من قبل !

عبد التواب : نعم .

كوثر : وكتمت عنى طوال هذه السنين أنك تعرفه ! ما أعظمك يا عبد التواب وما أحقرنى فى جنبك !

عبد التواب : بل ما أعظمك يا كوثر إذ تواضعت لله فرفعك ، وتكبرت على الشيطان فلم يستطع بعد ذلك أن يدنو من سمائك !

كوثر : وأسامة .. ما أنت صانع فى أمره وقد سمعت ما قال فيه أخوك ؟

عبد التواب : لا تقيمى لعبد الجواد شأنا ولا تعبأى بما قال ، فإنما دفعه إلى ذلك فرط الطمع . وقد أرضيته بما طمع فلن يفتح فاه مرة أخرى بكلمة سوء .

كوثر : لكنى لا أستحقك يا عبد التواب . طلقنى يا سيدى وابغ لك زوجة أخرى تصلح لك وتجدر بك . (**تنتحب**) .

عبد التواب : (**لآسية بصوت خافض**) أحضرى أسامة وشافعة .

آسية : سمعا يا أخى (**تخرج**) .

عبد التواب : كفكفى دموعك يا حبيبتى ولا تطلبى منى أمرا لا أقدر عليه .

ميمونة : ويلك يا كوثر .. اسمعى لزوجك وأطيعى فإنه والله لسيدنا جميعا .

(**تدخل آسية ومعها أسامة وشافعة**)

عبد التواب : هلما يا ولدى (**يجمعهما فى حجره**) .

أسامة : لماذا يا أبى تبكى أمى ؟

شافعة : (**تدنو من كوثر**) لم تبكين يا أمي ؟

عبد التواب : إنها تبكي لأني لم أجيء لها بهدية مثلكما .

شافعة : لا تبكي يا أمي .. سأعطيك هديتي .. خذيها .

(تقدم لها لعبتها فتضمها كوثر إلى صدرها)

عبد التواب : وأنت يا أسامة ألا تعطيها هديتك ؟

أسامة : الصفارة يا أبي لا تصلح لها .

عبد التواب : لا بأس يا ولدي .. أعطها صفارتك !

أسامة : تكفي أمي هدية واحدة .. سأعطي هديتي لعمتي آسية .

(يعطي الصفارة لعمته آسية فتضمه إلى صدرها)

(يتضاحك الجميع)

(ستار)

المشهد الثانى

(حجرة نوم فى منزل عبد التواب . لها بابان أحدهما (على اليمين) يؤدى إلى جناح الرجال والآخر (على اليسار) يؤدى إلى سائر جناح الحريم .)

(يرفع الستار عن عبد التواب جالسا على سريره فى مشقة وإعياء ومن خلفه الوسائد تسند ظهره ، وقد نهكته العلة فبدا شاحب الوجه نحيل الجسم غائر العينين . وعنده أخوه عبد الجواد والقاضى بكار جالسين على مقعد طويل قد أدنى إلى جانب سرير المريض .)

عبد التواب : هذا ما كان منى يا سيدى الشيخ فى أمر امرأتى وأمر هذا الغلام . والله يا سيدى ما أردت بذلك إلا وجه الله سبحانه وتعالى ابتغاء مغفرته ورضوانه دون أن أتوخى حرمان أحد حقه فى الميراث ولا توريث أحد ما ليس بحقه .

بكار : طوبى لك يا عبد التواب . لقد عملت عملا أرجى عند الله منه : سترت العرض وجبرت الكسر وغفرت الذنب وقهرت النفس الأمارة بالسوء .

عبد التواب : والغلام يا سيدى الشيخ ؟

بكار : هو ابنك يا عبد التواب ترثه ويرثك .

عبد الجواد : (**فى إنكار**) يرثه ؟

بكار : نعم .. قال النبى ﷺ : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

عبد التواب : (**فرحا كأنه لا يصدق ما سمع**) ماذا قال يا سيدى ؟

بكار : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

عبد التواب : الحمد لله ! لقد أفتانى قلبى بذلك من قبل .

بكار : أنت امرؤ قد قذف الله فى قلبه نور التقوى فلا غرو أن يهديك إلى الصواب فى عملك .

عبد الجواد : لكن أخى يعلم يا سيدى أن الغلام ليس من صلبه ..

بكار : (**يستشيط غضبا**) ما أنت وذاك قبح الله وجهك !

عبد الجواد : معذرة يا سيدى الشيخ فما قصدت أن أغضبك .

بكار : أتخشى غضبى ويلك ولا تخشى غضب الله ورسوله ؟
(**يلتفت إلى عبد التواب**) خبرنى يا عبد التواب أأنت أرسلت أخاك هذا لأجىء إليك ؟

عبد التواب : لا يا سيدى ولكنه قد أحسن إلىّ إذ أتاح لى أن أراك وأستفتيك .

بكار : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى . لقد أراد هذا أن يستعين بى على إبطال الحق وإحقاق الباطل فأخزاه الله وعصمنى أن أكون مطيته .

عبد التواب : اغفر له يا سيدى فإنه لا يعلم .

عبد الجواد : أجل يا سيدى اغفر لى واعف عنى .

بكار : استغفر الله وتب إليه فالله وحده ولى المغفرة .

عبد التواب : ادع الله لى بالمغفرة يا سيدى فإنى أخشى أن ألقى الله مثقلا بخطاياى وذنوبى !

بكار : غفر الله لك يا عبد التواب . استبشر يابنى خيرا وليكن رجاؤك أكبر من خوفك ، ولا تكره لقاء الله فيكره الله لقاءك . إنك ـــ ما علمت ـــ لرجل صالح وإن الله لتواب رحيم .

عبد التواب : بشرك الله يا سيدى بالخير .

بكار : هل تأذن لى ؟ (**ينهض**) .

عبد التواب : إذا شئت يا سيدى .

بكار : أسأل الله لك العافية .

عبد التواب : والمغفرة يا سيدى .

بكار : والمغفرة . (**ينهض عبد الجواد ليصحبه**) لا .. لا أراك تصحبنى مذ اليوم ، ولكن شيعنى إلى البـاب (**يخرج وخلفه عبد الجواد**)

(تدخل آسية من اليسار)

عبد التواب : أأنت هنا يا آسية ؟

آسية : نعم قد سمعت كل شىء .. الحمد لله الذى أخزى عبد الجواد فباء بغضب الشيخ ومقته .

(**تضجعه**) استرح يا أخى فقد تعبت من الجلوس .

(يدخل عبد الجواد فى كآبة وانكسار)

آسية : ويلك يا هذا .. ماذا لقيت من سوء نيتك وتدبيرك ؟

ألا تكف يا رجل من طمعك وجشعك ؟

عبد الجواد : (**يعرض عنها ويدنو من أخيه**) اغفر لى يا عبد التواب فإنى قد أسأت وندمت .

عبد التواب : (**يتنهد**) استغفر الله وتب إليه فالله وحده ولىّ المغفرة .

عبد الجواد : لا أراك يا أخى ساخطا علىّ .

عبد التواب : قد دنا المورد يا عبد الجواد فماذا يعنيك سخطى أو رضاى ؟

عبد الجواد : (**فى تردد**) والوصية يا أخى ؟

آسية : أجل .. المال وحده هو الذى يعنيك ! (**لعبد التواب**) ألغها يا أخى فوالله إنه لا يستحقها !

عبد التواب : اطمئن يا عبد الجواد فإنها باقية كما هيه .

عبد الجواد : أطال الله عمرك يا أخى .. والله لا أدرى كيف أقوم بشكرك وارد بعض جميلك .

آسية : اكفه شرك وخلاك ذم .

عبد الجواد : (**معرضا عن آسية**) ألا تجعلنى وصيا على أولادك يا عبد التواب لعلى أقوم لهم ببعض حقك !

آسية : أنت ؟

عبد التواب : قد جعلت الوصاية عليهم لقاسم المغربى .

عبد الجواد : أتجعل عليهم رجلا قتلت أخته فى منكر ؟ أليس عمهم أولى بهم من زوج ابنة أم مستور ؟

عبد التواب : (**يصمت قليلا**) إنه أخى وشريكى . (**لآسية**) أين

صالحة ؟ عليّ بها الساعة .

آسية : (**تتوجه نحو الباب الأيسر**) صالحة ! هلمى يا صالحة !

(**تدخل صالحة**) .

عبد التواب : هلمي يا صالحة . هل تعرفين دار أم مستور ؟

صالحة : نعم يا مولاى أعرفها .. هي بقرب دار سيدتى ميمونة .

عبد التواب : انطلقي إليها وقولي لها أريد أن أراها الساعة .

صالحة : سمعا يا مولاى (**تخرج**)

عبد التواب : (**يئن أنينا خافتا**) آه ! آه ! (**تلحقه غشية**) .

آسية : عبد التواب ! عبد التواب ! ماذا أصابك ؟

(**لا يجيب**) يا إلهى .. قد ثقل لسانه ! يا بؤسى !

عبد الجواد : لا تبتئسى يا آسية .. إن هى إلا غشية لحقته .

آسية : ويلك أتشتهى له شرا من هذا ؟

عبد الجواد : ما تقولين يا آسية ؟

آسية : كل هذا من عملك ! اخرج من هنا .

عبد الجواد : أتطردينني من عند أخى وهو على هذه الحال ؟

آسية : ويلك .. دع زوجته تدخل لتراه .

عبد الجواد : أما هذا فنعم . (**يخرج من اليمين**) .

آسية : واها عليك يا عبد التواب !

(**تدخل كوثر ملتاعة وخلفها ميمونة**)

آسية : أدركينى يا ميمونة !

كوثر : وامصيبتاه ! وازوجاه ! (**تلطم وجهها وتضرب**

صدرها) .

ميمونة : مهلا يا ابنتي .. إن زوجك بخير .. إنما تعب قليلا فنام .. ها هو ذا يتنفس كما يتنفس النائم .

كوثر : (تنفجر باكية) ويل لى .. كل هذا من جرائى وجراء أسامة ! قد قلت لكم إننى لا أصلح له .. ويلكم .. دعوه يطلقنى وأريحوه منى ومن هذا الولد المشؤوم !

ميمونة : ويحك يا بنتي لا يسمعك فتزيدى ما به .

كوثر : يا ويح عبد التواب .. أنا سبب شقائه وعلته (تبكى) .

آسية : (تحتضنها مواسية) كلا يا كوثر والله ما كنت إلا منبع سروره وبهجته . إنى أعرف أخى قبل أن تعرفيه .. لقد كان كئيب النفس مؤرق العين يطوى صدره على هم دفين وما عرف السعادة والبشر إلا يوم اطمأن إليك . والله ما أورثه العلة والنكد إلا عبد الجواد وأم مستور !

ميمونة : متى يريحنا الله من هذه العجوز الملعونة ؟

آسية : أعاننا الله عليها .. كأنى بها آتية الساعة لتجهز عليه ..

ميمونة : يا ويلى .. ماذا يجىء بها الساعة ؟

آسية : عبد التواب يريد رؤيتها .. أرسل فى طلبها صالحة .

ميمونة : ما خطبه ؟

آسية : لا أدرى .. كأن الله سلطها علينا بلاء من عنده .

عبد التواب : (يفتح عينيه) ألم تعد صالحة بعد ؟ ألم تحضر أم مستور ؟ .

آسية : لا يا أخى .. لم تعد صالحة بعد . ماذا تشكو يا عبد التواب ؟

عبد التواب : لا شىء .. إنى أريد أم مستور .. ابغونى أم مستور .

ميمونة : عما قريب تحضر أم مستور .

عبد التواب : كيف أنت يا كوثر ؟ لا تبتئسى فإنى بخير .. أين أسامة وشافعة ؟

كوثر : (**بصوت حزين**) فى فناء الدار يلعبان .

عبد التواب : إيتونى بهما . إنى أريد أن أراهما قبل أن .. قبل أن تجىء أم مستور .

آسية : سآتيك بهما الساعة (**تهم بالخروج ولكنها ترتد راجعة**) .

(**تدخل صالحة**)

صالحة : ها هى ذى قد جاءت يا مولاى .

عبد التواب : الحمد لله .. دعونى وإياها وحدنا .. إن لى معها حديثا .

(**ينظر بعضهن إلى بعض ثم يخرجن**)

(**تدخل أم مستور**)

عبد التواب : ألا تسلمين على يا أم مستور ؟

أم مستور : السلام من عند الله .

عبد التواب : (**يحاول الجلوس**) اعذرينى يا أم مستور فإنى لا أقدر أن أقوم لك .

أم مستور : العليل قد يقوم ولكن الموتى لا يقومون !!

عبد التواب : (**يمد إليها يده فتصافحه بغير نية**) هلمى اجلسى يا أم مستور.

أم مستور : (**تجلس**) هل بعثت فى طلبى .. ماذا تريد منى بعد ؟

عبد التواب : (**مستعطفا**) أريد عفوك يا أم مستور وغفرانك!

أم مستور : ما حاجتك اليوم إلى عفوى وغفرانى وقد أطبقت فمى على سر زوجتك وابنها الذى أدخلته فى نسبك ؟ أو تخشى أن أفضح هذا السر بعد موتك ؟ إذا رن النواح عليك فما يعنينى بعده سر زوجتك !

عبد التواب : حنانيك يا أم مستور ! والله ما هذا بالذى أخشى اليوم منك ، ولكنى أخشى الله عز وجل أن يلقاه وأنت منى موتورة ! (**تنهمر الدموع من عينيه**) إننى اليوم كما ترين : إن بقيت الليلة لا أبقى غدا وإن بقيت غدا لا أبقى بعد غد .. (**يختنق صوته بالبكاء**) والله ما ذقت طعم الراحة منذ استأثر الله بغيداء إلى رحمته ، ولقد لقيت من الجزاء ما أستحق به رثاءك يا أم مستور ومرحمتك !

أم مستور : (**يترقرق الدمع فى عينيها**) واها على غيداء ! أتظن يا عبد التواب أن الله يشملها برحمته ؟

عبد التواب : ويحك يا أم مستور .. لمن تتسع رحمة الله إن ضاقت على غيداء ؟ حنانيك يا أم مستور إن الله قد غفر لها فاغفرى لهذا الوجل الخائف من عذاب الله ! إن لم تعفى عنى اليوم فستندمين غدا على أن لم تسمعينى كلمة العفو قبل أن يصم الموت أذنى فلا أسمعك ! (**ينتحب**) .

أم مستور : (**يغلبها البكاء**)حسبك يا عبد التواب قد عفوت عنك

وساحتك فليغفر لك الله !

عبد التواب : (يتنفس الصعداء) الحمد لله ! اليوم ألقى ربى بنفس مطمئنة !

أم مستور : ولكنني يا عبد التواب لا أدرى كيف ألتمس عفوك ومسامحتك .. لطالما أسأت إليك وأنت تحسن إلىّ !

عبد التواب : يغفر الله لك يا أم مستور أنت فى حل منى فى الدنيا والآخرة .

أم مستور : إنك لا تعلم إلا قليلا مما أسأت به إليك .

عبد التواب : بل أعلم يا أم مستور .. مغفور ذلك كله لك .

أم مستور : لا تعلم أنى أغريت مستورا بكوثر .

عبد التواب : بل أعلم ذلك يا أم مستور جزاء منك وفاقا . والله ما يحزننى من عمل ابنك إلا أن الجزاء قد ناله بعد فى زوجته .

أم مستور : يا ويح مستور . ما جنى عليه أحد سواى !

عبد التواب : لا تحزنى فجدير به أن يسامحك .

أم مستور : لكنك لا تعلم يا عبد التواب أنى أوعزت إلى أم جابر القابلة بأن تطاول كوثر ولا تجهض حملها حتى تجىء أنت من الشام فترى وتسمع .

عبد التواب : بل قد علمت بذلك يا أم مستور وكان الخير فيما فعلت .

أم مستور : وإنى جعلت أحرض أخاك عبد الجواد على أسامة .

عبد التواب : أما هذا فلم أعلم به إلا الساعة وهو مغفور لك . وما إخال عبد الجواد كان بحاجة إلى تحريضك !

أم مستور : أوَ تعفو لى عن هذا كله ؟

عبد التواب : قد سامحتك فيما أعلم ومالا أعلم .

أم مستور : ما أكرمك يا بنى وما أشد خجلى مما أتيته فى حقك .

عبد التواب : لا تبتئسى يا أم ميسور فقد كنت معذورة .

(يسمع نقر خفيف على الباب فتدخل صالحة) .

صالحة : معذرة يا مولاى .. سيدى قاسم المغربى جاء يعودك !

عبد التواب : أين هو يا صالحة ؟

صالحة : فى الحجرة الكبرى يا مولاى مع .. مع ..

عبد التواب : مع من يا صالحة ؟

صالحة : (**كالخائفة**) مع سيدى عبد الجواد .

أم مستور : (**تنهض**) يشفيك الله يا عبد التواب ويصون شبابك ! ائذن لى أنصرف الآن يا بنى .

عبد التواب : بل ابقى قليلا يا أم مستور لأجمعك بقاسم فترضى عنه ويرضى عنك .

أم مستور : كلا يا عبد التواب لا أريد رؤيته ..

عبد التواب : فيم يا أم مستور ؟ إنه رجل كريم وقد كان برا بك فلا ينبغى أن تدوم بينكما القطيعة .

أم مستور : هو الذى بدأنى بالقطيعة كأنما أنا قتلت أخته .

عبد التواب : اعذريه فإن الفاجعة تذهل الحليم . إنى سأكلمه الساعة وأجعله يعود إلى عادته القديمة معك .

أم مستور : هيهات . لقد كان محمولا على الصلة التى كانت تأتينى

منه ، ضيقا بها صدره ، فانتهز هذه الفرصة فقطعها عنى .
ولكن الله قد أغنانى عنها ببرك وصلتك . ويل لى .. كيف
كنت أكيد لك وأنت لى العائل والمعين .. واحسرتاه ..
إن ذهبت يا عبد التواب فمن ذا يعولنى بعدك ؟

عبد التواب : اطمئنى فقد جعلت لك فى وصيتى ما أرجو أن يكون عونا لك على دهرك .

أم مستور : (**متعجبة**) وذكرتنى فى وصيتك ! واخجلتاه !
(**تدنو منه**) دعنى أقبل رأسك يا بنى (**تبلل رأسه بدموعها**) نفسى فداؤك يا عبد التواب يا ليتنى أموت أنا وتبقى أنت !

عبد التواب : ائذنى لقاسم يا صالحة .

صالحة : (**لا تكاد تصدق ما ترى**) سمعا يا مولاى (**تخرج**) .

أم مستور : هل تأذن لى يا سيدى فأنصرف ؟

عبد التواب : كما تشائين .. سأكلم قاسما فى أمرك .

أم مستور : جعلنى الله فداءك يا عبد التواب (**تخرج**) .

عبد التواب : الحمد لله فرغت من أم مستور وبقى قاسم . ليت شعرى كيف أفضى بالسر الثقيل إليه ؟ كيف ..

(**يدخل قاسم وعبد الجواد**)

عبد التواب : مرحبا بك يا قاسم .

قاسم : لا بأس عليك يا أبا أسامة .. كيف تجدك اليوم ؟

عبد التواب : الحمد لله يا قاسم .

عبد الجواد : إنك الآن لبخير يا أخي .. لقد لحقتك غشية آنفا فخشينا عليك !

عبد التواب : ستأتي وشيكا يا عبد الجواد الغشية التي ليس منها فواق !

عبد الجواد : بل يطيل الله عمرك يا أخي ويرحم شبابك .

عبد التواب : ربما يود قاسم أن يكلمني وحدى فهل لك يا أخي ..

عبد الجواد : حبا يا أخي وكرامة .. إنما أردت أن أوصله إلى حجرتك (يخرج) .

قاسم : هلا أبقيت أخاك فليس عندى ما أسره إليك . إنما جئت لأطمئن على صحتك .

عبد التواب : لكن عندى حديث سر لك يا قاسم .

قاسم : خيرا إن شاء الله .

عبد التواب : كانت خالتك أم مستور هنا عندى . أما برحت مقاطعا لها يا قاسم ؟

قاسم : نعم .. ما عدت أطيق رؤيتها بعد الذى كان من ابنها يا عبد التواب . إنه فضح أختى ولوث سمعتى بدون بينة .

عبد التواب : لكن ما ذنب أمه يا قاسم .

قاسم : عندها وفى دارها وقعت الجريمة !

عبد التواب : لكنها ما كانت فى الدار إذ ذاك .

قاسم : لعلها تواطأت مع ابنها على الخروج .

عبد التواب : كلا يا قاسم .. لا يعقل أن ترضى لابنها الحبس والتغريب . لو رأيت كيف جن جنونها يوم الحادث لتقطع

قلبك رثاء لها وشفقة . إنها لتحبك يا قاسم وتعزك ، وإنها بعد لأم غيداء رحمها الله .

قاسم : (**يبدو فى وجهه الحزن والرقة**) صدقت يا أخى فماذا تريدنى أن أصنع ؟

عبد التواب : تودها وتصلها كعادتك معها من قبل .

قاسم : لك علىّ يا عبد التواب أن أصلها بما كنت أصلها به ، ولكننى لن أغفر لها أبدا سوء كلامها فى أختى .

عبد التواب : اعذرها يا أخى فقد نكبت بابنها بعد فجيعتها بابنتها ، فلا غرو أن طار صوابها فلم تدر ما تقول ! اغفر لها يا قاسم فلن تجدها إلا نادمة على ما قالت .

قاسم : لو غيرك عبد التواب استشفع لها إلىّ !

عبد التواب : لا عدمتك يا أخى أوَ قد غفرت لأم مستور ؟

قاسم : نعم .. سامحتها كرامة لك .

عبد التواب : (**تغرورق عيناه بالدمع وتضطرب شفتاه ويتهدج صوته فما ينطق إلا بمشقة**) وأنا يا قاسم ! ..

قاسم : ما خطبك يا أخى ؟

عبد التواب : وأنا يا قاسم ألا تغفر لى ؟

قاسم : ويحك يا عبد التواب .. ماذا تقول ؟ إنى لأذكر أنى سمعت منك شبيه هذا من قبل .

عبد التواب : أجل يا أخى .. أفما آن لك اليوم أن تغفر لى ؟

قاسم : إنى لا أفهم ما تعنى .. أى ذنب يا عبد التواب جنيته علىّ

فأغفره لك ؟ أنا والله الجدير بأن أستسمحك لعجزى عن الوفاء ببعض ما أسديت لى من معروف مهما أخلص لك وأجهد نفسى فى خدمتك ، فقد خلصتنى من السجن وأنا مفلس لا أملك شيئا فنزلت لى عن حلى أختك لأبيعها وأتخذ ثمنها رأس مال لى ، ثم خلطتنى بنفسك وجعلتنى شريكك حتى حسن حالى فصرت اليوم غنيا بفضلك ونعمتك .

عبد التواب : فبحق منزلتى هذه عندك إلا ما غفرت لى سيئتى .

قاسم : والله ما أعلم لك عندى من سيئة . ولكن إن رغبت فكل سيئة لك مغفورة عندى من قبل أن تسأل منى ذلك .

عبد التواب : إنها لسيئة أعظم جدا مما يمكن أن يخطر فى بالك ! وأخشى إن علمت بها ألا تقدر أن تغفرها لى .

قاسم : ثق يا أخى أنى سأغفرها لك مهما تكن . فأفصح عنها إن شئت ليستريح خاطرى وخاطرك .

عبد التواب : هل تذكر يا أخى يوم استشرتنى فى تزويج أختك لابن أم مستور فحاولت أن أثنيك عنه ؟

قاسم : أجل يا عبد التواب . يا ليتنى اتبعت نصيحتك .

عبد التواب : أتدرى لم نهيتك عنه ؟

قاسم : لا يا عبد التواب .. لكأنما كنت تنظر بنور الله فانكشف لك ما فى ضمير الغيب .

عبد التواب : كلا يا قاسم ولكن كان مستور هذا قد انتهك عرض فتاة

شريفة ما زال يستدرجها حتى زلت معه ، فألقى فى روعى أن الله سينتقم منه فى زوجته بمثل ما ارتكب فى زوجة غيره .

قاسم : فهلا كنت أخبرتنى بذلك ؟

عبد التواب : ما كان ذلك فى وسعي يومذاك ..

قاسم : ماذا كان يمنعك ؟

عبد التواب : لقد خشيت أن أفضح سر تلك التى جنى عليها إذ كانت زوج صديق عزيز لك .

قاسم : (**فى شيء من الذهول**) ليت شعرى من يكون هذا الصديق ؟

عبد التواب : (**فى مشقة**) إنه أنا يا قاسم !

قاسم : أنت ! ... زوجتك !

عبد التواب : أجل .. إنها كوثر زوجتى .. ما كنت لأفضى بسرها إليك لولا حاجتى إلى عفوك ومغفرتك .

قاسم : ما تقول يا عبد التواب ؟ ما شأن هذا وشأنى ؟

عبد التواب : ستعرف ذلك وشيكا يا قاسم . ألا يخطر لك الآن أن تسألنى كيف قبلت كوثر وتسترت عليها بعد هذا الذى كان ؟

قاسم : أجل .. كيف ؟

عبد التواب : لأنى أنا الذى جنيت عليها ذلك .

قاسم : أنت ! إنى لفى حيرة يا عبد التواب لا أكاد أعى ماذا تريد أن تقول .

عبد التواب : إنى كنت ارتكبت مثل هذه السيئة فى امرأة صديق لى فوقع على جزاؤها فى امرأتى ، فأنا الذى جنيت عليها ذلك .

قاسم : يا إلهى !

عبد التواب : خبرنى الآن يا قاسم هل تستطيع أن تغفر لى ؟

قاسم : يا ويلتا .. أكانت .. ؟

عبد التواب : نعم يا قاسم .. بحق ضراعتى إليك فى آخر يوم لى من أيام الدنيا وأول يوم لى من أيام الآخرة إلا ما غفرت لى يا قاسم وعفوت عنى .. والله لقد ظل الندم من يومئذ يأكل قلبى ، فهذا أوان انقطاع وتينى . أفتراك يا قاسم تتركنى ألقى الله بوزرك محمولا على ظهرى ومشدودا إلى عنقى وفى وسعك أن تلقيه عنى بكلمة صغيرة تنطق بها شفتاك ؟ ارحمنى يا قاسم ارحمنى فلعلك لا ترانى بعد يومنا هذا .. قلها يا قاسم كلمة طيبة تصون وجهى من عذاب النار وألقى الله بها راضيا مرضيا .

قاسم : (**تنهمر دموعه**) قد غفرت لك يا عبد التواب وعفوت عنك !

عبد التواب : الحمد لله .. اليوم طابت نفسى واطمأن قلبى .. شكرا لك يا قاسم . أنت صديقى فى الدنيا والآخرة (**تجحظ عيناه**) اسمع يا قاسم .. ألا تسمع يا قاسم ؟

قاسم : (**يغالب البكاء**) ماذا يا عبد التواب ؟

عبد التواب : السلسلة !

قاسم : السلسلة ؟

عبد التواب : نعم .. السلسلة .. أما تسمع صليلها إذ تتفصم عن عنقى ؟ أما تسمع صلصلتها يا قاسم .

قاسم : لا يا عبد التواب .. لا أسمع شيئا .

عبد التواب : (فرحا) ها قد انقطعت يا قاسم ! قد سقطت من عنقى ! هنئنى يا قاسم هنئنى .. أنا الآن حر طليق !
(يرتفع رأسه من الوسادة بغتة ثم يهوى عليها فتلحقه غشية) .

قاسم : عبد التواب ! عبد التواب ! (**يحركه**) عبد التواب !

عبد التواب : (**لا يجيب**) .. ؟

قاسم : يا إلهى .. ! (**يتوجه نحو الباب الأيسر فينادى**) صالحة ! يا صالحة !

صالحة : (صوتها) لبيك يا سيدى !

قاسم : مولاك لحقته غشية .. ادعى مولاتك (**يدنو من السرير فيوسع رأس عبد التواب ووجهه لثما وتقبيلا**) نفسى فداؤك يا عبد التواب ! من ذا يكون صديقى بعدك ؟ ما أطيبك أخا وأكرمك صديقا ! (**يسمع حس النسوة قادما فيخرج قاسم من اليمين**) .
(تدخل آسية وكوثر وميمونة مهرعات يقفن حول عبد التواب) .

كوثر : وازوجاه ! واكريماه !

ميمونة : مهلا يا بنتى فهذه غشية كالتى لحقته آنفا وسيفيق منها بإذن

الله .

آسية : (**تنضح وجهه بماء الورد**) اللهم لطفك يا رب ! قالت لنا صالحة آنفا إنه كان بخير فماذا أصابه ؟

عبد التواب : (**يفتح عينيه فيديرهما فيما حوله**) عجبا .. هل كنت الساعة نائما ؟

آسية : نعم .. كنت الساعة نائما يا أخي .

عبد التواب : يا ويلي !

آسية : ما خطبك يا أخي ؟ أما تستحب النوم ؟

عبد التواب : (**كأنه لم يسمع ما قالت**) كلا .. بل كنت يقظان .. خبريني يا آسية ألم يكن قاسم هنا عندى آنفا ؟

آسية : بلى يا عبد التواب .. كان هنا آنفا معك فلما رآك نعست خرج من عندك فدخلنا .

عبد التواب : (**يتنفس الصعداء**) الحمد لله ! لم يكن مناما ما شهدت ، لم يكن حلما يا آسية بل كان حقيقة !

آسية : عم تتحدث يا عبد التواب ؟

عبد التواب : عن السلسلة ...

آسية : السلسلة ؟

عبد التواب : أجل يا آسية إنها تحطمت فانفصمت عن عنقي ... حطمها غفران قاسم .. هنئيني يا آسية ... أنا الآن حر طليق !

(**ينظرن إليه متعجبات**) .

عبد التواب : (**ينظر إليهن**) ويلكن .. أما تصدقننى ؟

ميمونة : بلى يا بنى .. نصدقك .

عبد التواب : حياك الله يا خالتى ميمونة !

ميمونة : شفاك الله يا عبد التواب وعافاك !

عبد التواب : لقد عوفيت الآن .. الحمد لله ! .

(**تدخل صالحة ومعها أسامة وشافعة**) .

عبد التواب : (**ينظر إليهما متهللا**) هلما يا ولدى .. هلم يا أسامة ... هلم يا شافعة (**ينطلقان إليه**) أدنوهما منى أقبلهما ! (**يقبل أسامة تحمله آسية ثم يقبل شافعة تحملها كوثر**) ما أشوقنى إليكما ... ما أحلاكما (**يتأوه**) آه ! آه !

آسية : ماذا بك يا عبد التواب ؟ ماذا تشكو ؟

عبد التواب : لا شيء يا آسية ...

آسية : خذى الولدين معك يا صالحة ...

صالحة : سمعا يا مولاتى .

آسية : اخرجا مع صالحة (**تخرج صالحة بالولدين**) .

عبد التواب : (**يئن أنينا خافتا**) آه ! آه ! آه !

كوثر : ويحك يا حبيبى ماذا تشكو ؟

عبد التواب : لا أشكو شيئا يا حبيبتى .. (**بصوت خافت**) هذا الحق قد جاء .

آسية : عبد التواب ... عبد التواب .

عبد التواب : نعم ..

آسية : هل تريد أن نصنع لك شيئا ؟ شراب الليمون الذى تحبه ؟
عبد التواب : (**بصوت ضعيف**) لا وأشكرك يا آسية .
آسية : فشراب الورد ؟
عبد التواب : ولا هذا يا آسية .. المورد قريب ! أين الرباب يا آسية وأين أخواتها ؟
آسية : قد رجعن أمس يا أخى إلى بيوتهن .
عبد التواب : يا ليتنى أراهن .. يا ليتنى أرى الرباب !
آسية : غدا يا أخى تراهن .. سأرسل إليهن الليلة .
عبد التواب : غدا ؟ غدا يريننى ولا أراهن ! .
آسية : بل ستراهن ويرينك .. هل أبعث ليحضرن الليلة ؟
عبد التواب : لا .. لا تزعجيهن فى بيوت أزواجهن .. غدا سيريننى . (**تسرع أنفاسه**) أوصيك يا أختى بكوثر .. وبأولادى .. وبصالحة .. وبأم مستور .. وبعبد الجواد أخيك .. وأنت يا كوثر ...
كوثر : (**باكية**) نعم يا حبيبى .
عبد التواب : أوصيك بأختى آسية .. وبابنى أسامة ..
(**يحاول الجلوس**)
آسية : أتجلس يا أخى ؟ (**تساعده على الجلوس هى وكوثر**) ..
عبد التواب : (**جالسا تسنده النسوة الثلاث**) يا بشراى اليوم .. (**يرفع بصره إلى السقف**) سألقاك يا ربى بنفس مطمئنة .. سأرجع إليك يا ربى راضيا مرضيا ! (**يضعف**

صوته ويتقطع) أشهد .. أن لا إله .. إلا الله .. وأن .. محمدا .. رسول .. الله **(فى توسل وضراعة)** اللهم .. اغفر لى .. ما أعلم .. وما .. لا .. أعلم .. اللهم ... اغفر .. للذين أسأت .. إليهم .. وللذين .. أساءوا .. إلى **(فى صوت كالحشرجة)** اللهم افصم .. بغفرانك .. سلاسل الخطايا .. من أعناق .. عبادك .. أجمعين .

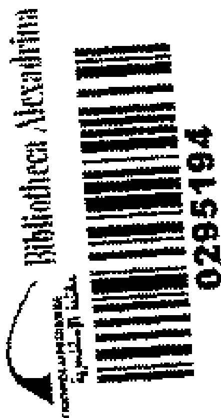
(يخفق رأسه ويموت)

(يرتفع عويل النساء وندبهن)

« ستار الختام »

رقم الإيداع ٢٠٠٥ / ٨١
الترقيم الدولى ٠ ـ ١٦ ـ ٧٢٧٨ ـ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٣٠٠ قرش